الرسالة رقم ١١

سلسلة:

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ}

العقائد النصرانية في الميزان



تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدمنجي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

سلسلة:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾

الرسالة رقم (١١)

العقائد النصرانية في الميزان

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

اللَّهم لـك الحمـد، وإليـك المـشتكى، وأنـت المـستعان، وبك المُستَغاثُ، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوّة إلا بك. لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعـد الـرضى، حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيـه، مـلء الـسماوات، ومـلء الأرض، ومـلء مـا شـئت مـن شيء بعـد، أهـلُ الثنـاء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكلّنا لك عبد، اللَّهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجدّ، لك الشكر على ما أعطيت، ولك الحمد على ما قضيت، ولك الحمد على كمالك وجمالك وجلالك، تباركت ربّنا وتعاليت. هـديتنا للإسـلام، وعلّمتنـا القـرآن، وخصـصتنا بأفـضل المرسلين، وجعلتنـا مـن خير أمـة أخرجـت للنـاس، اللَّهـم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللَّهم صـل عـلى محمـد وعـلى آل محمـد كـما صـليت عـلى

إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في ربوبيته ولا ألوهيته، ولا أسمائه، ولا صفاته، ولا أفعاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، وكريمه وكليمه، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، وأتمّ الله به النعمة على من أراد بهم خيرًا. أما بعد:

فهذه رسالة في وزن عقائد المنتسبين إلى المسيح عليه السلام على ميزان الوحي والعقل والمنطق والفطرة والتاريخ، ونقاش مبسوط لكبريات عقائدهم التي لا يرون النجاة لأحد إلا بها وهي ثلاث: التأليه للمسيح عليه السلام، والتثليث، والخلاص عن طريق الإيمان بالخطيئة والتكفير والفداء، ثم ذكر ما يلحق ذلك من أسرار كنسية وطلاسم كهنوتية. وهي على النحو التالي:

الباب الأول: تأليه المسيح عليه السلام.

توطئة.

الفصل الأول: نقض شبهة التأليه للمسيح عليه السلام.

١ـ نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية والربوبية.

٢ـ نصوص تنسب المسيح إلى البنوة.

٣ـ نصوص تنسب المسيح إلى الحلول والاتحاد.

٤ـ نصوص تنسب صفات الله تعالى للمسيح.

٥ـ نصوص تنسب أفعال الله إلى المسيح.

٦ـ الاستدلال بالمعجزات.

الفصل الثاني: حقيقة المسيح ابن مريم عليه السلام.

١ـ نصوص تثبت عجزه وضعفه.

٢ـ نصوص تثبت بشريته.

٣ـ معاصروه وتلاميذه لم يقولوا بألوهيته.

٤ـ نصوص تشهد بنبوته ورسالته.

الباب الثاني: التثليث.

الفصل الأول: تعريفه ومحاولة فهمه.

الفصل الثاني: أصول التثليث وثنية.

الفصل الثالث: مناقشة عقيدة التثليث.

الباب الثالث: الخلاص.

الفصل الأول: الخطيئة والتكفير بالفداء.

المبحث الأول: توضيح المراد بها، وكيفية نشأتها.

المبحث الثاني: تحليل ومناقشة ونقد عقيدة الخطيئة والتكفير والفداء.

الفصل الثاني: عقيدة الصلب والفداء.

المبحث الأول: توطئة.

المبحث الثاني: نقض عقيدة الصلب والفداء وبراهين زيفها عقلًا ونقلًا.

أولًا: لا تليق بمقام الألوهية والربوبية.

ثانيًا: أصولها الوثنية.

ثالثًا: نقد الروايات الإنجيلية لحادثة الصلب.

١. تناقضات روايات الصلب بين الأناجيل.

٢. تناقضات روايات قصة القيامة.

٣. تفرد أحد الأناجيل ببعض الأجزاء من القصة.

٤. النقد الضمني للروايات.

٥ـ وجود كثير من فرق المسيحيين المنكرة لصلب المسيح.

٦ـ نبوءات التوراة تفيد نجاة المسيح عليه السلام من الصلب.

٧. دلالة الأناجيل والرسائل على عدم صلب المسيح.

٨- كل من احتك به ـــ حسب القصة ـــ يشك في شخصيته.

٩. القدرات الهائلة للمسيح عليه السلام.

الباب الرابع: الأسرار الكنسية والشعائر الكهنوتية.

١- سر المعمودية (التعميد).

٢ـ سر القربان المقدس (العشاء الرباني).

٣ـ سر تقديس الصليب.

٤ـ سر الميرون المقدس (التثبيت أو سر المسحة).

٥ـ سر الغفران الكنسي.

٦ـ تقديس يوم الأحد.

٧ـ الصلاة.

٨ـ الصيام.

سائلًا ربي الأجل بأسمائه وصفاته أن يخلص لي النية فيه، وأن يلطف بي بتوفيقه وإعانته ومدده، وأن لا يكلني إلى نفسي ولا إلى خلقه طرفة عين. هو حسبي ونعم الوكيل.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١٤٣٠/١٢

aldumaiji@gmail.com



البَابُ الأَوَّلُ

تأليه المسيح عليه السلام

وفيه:

توطئة.

الفصل الأول: شبه ونقوض.

الفصل الثاني: حقيقة المسيح ابن مريم عليه السلام.



صفحة بيضاء

تـــوطئة

إن توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته لهو زبـدةُ الرسـالات الـسماوية، وأعظـم مهـام الأنبيـاء عـلى الإطلاق رد الأمم إلى جادة التوحيد والإيمان بعد اجتيالها مـن قبـل شـياطين الجـن والإنـس التـي ألقـتهم في غياهـب الكفر ومهاوي الشرك وظلمات الوثنية.

ودعـوة المـسيح عليه السلام ليست بمعـزل عـن ذلـك الهـدي السماوي، كيف وهـو مـن أعظـم أنبيـاء الله ورسـله؟! وهـو أحـد الخمـسة الـذين وصـفهم الله بـأولي العـزم[1]، وأمـر

(١) أولو العزم من الرسل قيل: إنهم المرسلون عامة، وقيل: بل هم الخمسة الذين جمع الله ذكرهم في آيتين من كتابه تنهويهًا بمزيد فضلهم وصبرهم كما في آية الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، وآية الأحزاب: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ =

رسوله محمدًا ﷺ أن يقتدي بصبرهم فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد جاء هذا النبي العظيم عيسى ابن مريم عليه السلام لتجديد توراة موسى عليه السلام التي هي طافحة بشواهد الوحدانية والزجر عن الشرك والوثنية، كذلك فالأناجيل المنسوبة لدعوته هي في جملتها توحيدية خلا بعض المواطن المدسوسة فيها، التي دخل عن طريقها أفراخ الفلاسفة ليلبسوا المسيحية [1] لبوس الشرك والخرافة، فأضحت بعد

= وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧].

(١) مسألة تسمية النصارى بالمسيحيين فيها خلاف بين أهل العلم؛ ففريق يمنع ذلك بحجتين:
الأولى: أن هذه التسمية لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، إنما جرى ذكرهم بـ(أهل الكتاب، أهل الإنجيل، النصارى) بل إن وصفهم بالنصارى جرى في الغالب مجرى الذم، كذلك اليهود، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ =

= ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨] ولا يوجد في الأنبياء من وصف بأنه يهودي أو نصراني.

ثانيًا: أن من نسبهم للمسيح بقوله «مسيحيين» قد أخطأ بحق المسيح عليه السلام وجنى عليه، حيث نسب له من هو منهم براء، بما وصموه به من التأليه والتثليث والصلب والفداء، ونحوها من العقائد الباطلة، والمقالات الفاسدة، التي سوف يعلن براءته منها في يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

أما الفريق الثاني فيجيز ذلك، ويرى أن الأمر فيه سعة، خاصة إن كان في معرض مخاطبتهم ودعوتهم للحق، وأن هذه التسمية هي اصطلاح لهم اختاروه لأنفسهم بظنهم أنهم ينتسبون حقيقة إلى المسيح عليه السلام، وأن هذه الديانة المحرفة تدور حول شخص المسيح عليه السلام، وأكثر معتنقيها لا يعلمون مسافة بعدهم عن دعوته الأصيلة ومدى بعدهم عن لباب رسالته، وأن كثيرًا مما يسمعونه من الكنيسة لا يمت للحقيقة بصلة، وأن الله تعالى نادى اليهود المتأخرين بالنعم التي أنعمها على أوائلهم الذين كانوا مع موسى عليه السلام بأهل الكتاب بجامع أبوّة إسرائيل عليه السلام لهم، وقد نسب كفرة اليهود في صدر الإسلام إلى أولئك الموحدين الصالحين. كذلك فالله تعالى قد نسب هذه الطائفة الكتابية=

= بـــشقيها إلى الكتــاب فقــال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ﴾ مع بيانه في آيات أخر التبديل والتحريف الذي طال تلك الكتب المقدسة، مع ذلك فلم ينف نسبتهم إليه، والأمر في نسبتهم لنبيه الكريم الذي حرفوا دعوته مشابه. فكلاهما قد زيفت حقائقهما وبدلت.

والذي سنختاره في هذا البحث هو القول المجيز؛ لأن بعض المخاطبين بهذا الكتاب يظنون أن كلمة (نصارى) مسبة لهم، فيكون هذا عائقًا عن الهدى ودين الحق، وتحتمل المفسدة الدنيا في سبيل تحقيق المصلحة العليا، ويجري على هذا ما يشابهه من إطلاقات وتسميات أخر مثل (الآب، الكتاب المقدس، البابا، القديس، إسرائيلي.. وعبارات أهل الأوثان بقولهم: آلهة ــ إله... لمعبوداتهم الزائفة) والله من وراء القصد.

للفائدة: قال د.أحمد عبد الله جود: ورد لفظ (نصراني ونصارى) في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، وكان يستعمل من قبل المسيحيين العرب قديمًا في وصف أنفسهم من دون حرج، وقد تراجع استعماله اليوم كثيرًا من قبل المسيحيين، ولهذا شواهد في اللغة الأرمنية القديمة، وفي بعض لهجات مسيحيي الهند، أما أول تسمية لهم بالمسيحيين فقد ابتدأ من أنطاكية قرابة سنة (٥٠م) (أعمال الرسل ١١: ٢٦)، أما نسبة النصراني فقيل إلى ناصرة،=

ذلك في مصاف ديانات أهل الأوثان الذين جاءتهم رسلهم تترا لتردهم عن حمأة الشرك إلى نور التوحيد والإيمان، ولله في ذلك أبلغ الحكم، فاستبدل هؤلاء المنافقون الدعوة الأصيلة القديمة للمسيح عليه السلام بوثنيات الأمم وخرافات الفلاسفة وسفسطات الأبيقورية وقرمطات الرواقية[1] بكل ما فيها من متناقضات، فكانوا يلوون أعناق النصوص التي بين أيديهم لتوافق تلك العقائد، ثم ينسبونها بعد ذلك للمسيح عليه السلام، بل قد ذهبوا أبعد من ذلك فأدخلوا كلامًا من عند أنفسهم ثم نسبوه إلى مؤسس تلك الدعوة القويمة.

وقد بدأ هؤلاء مكرهم بتأليه المسيح عليه السلام عن طريق

= وقيل بل قرية أخرى تسمى نصران كما في (المفردات) للراغب الأصفهاني (ص٤٩٥)، (علم الملل ومناهج العلماء فيه) قلت: ولعل نسبتهم كانت ناصريين ثم تحولت مع الزمن إلى نصارى.

(١) السفسطة هي القياس الفاسد في العقليات، والقرمطة هي التأويل الفاسد في السمعيات، والأبيقورية والرواقية طائفتان متضادتان في الفكر والسلوك من الفلاسفة الإغريق. وانظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/ ٢٥٦).

نسبة بنوّته إلى الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، ثم ثَنَّوا بتقرير عقيدة الخطيئة الأولى لأبوي البشرية آدم وحواء عليهما السلام وسحبها على جميع ذريتهما، ثم بعد ذلك يؤصّلون عقيدة الخلاص لهذه البشرية عن طريق افتداء الله تعالى للبشر بقتل ابنه ووحيده يسوع على الصليب، ومن ثم يستمر الخلاص المفترى للبشرية عن طريق إيمانها المجرد بيسوع ابنًا لله مخلصًا وفاديًا وإلهًا مدبرًا حتى يأتي يوم الدينونة (القيامة الكبرى) ليحاسب هو وتلاميذه الأمم ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ.

لذلك سنعود للنقطة الأولى التي انطلقت منها الكنيسة العامة لإقرار هذه الأمور ألا وهي قضية تأليه المسيح عليه السلام، فتنظيف جدول الماء يبدأ بتنقية ينبوعه.

بداية لا يوجد نص واحد في الكتاب المقدس يصرح المسيح عليه السلام فيه بألوهيته أو يطلب من الناس عبادته[1]،

---

(١) في هذا الصدد تحدى الشيخ أحمد ديدات رحمه الله كبير قساوسة السويد بقوله: «أضع رأسي تحت المقصلة لو أطلعتموني على نص =

بل على العكس من ذلك ففي تيك الأسفار إثبات بشريته وإنسانيته، وإثبات توحيد الربوبية والألوهية لله تعالى، فالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد حافل بكثير من تعاليم ووصايا المسيح عليه السلام والأنبياء الآخرين كإسرائيل (يعقوب) وموسى وداود وسليمان عليهم السلام وغيرهم، المنادية بالتوحيد الخالص والمنددة بالشرك والزاجرة عنه.

انظر مثلًا إلى كلمة بني إسرائيل المشهورة الواردة في سفر التثنية (٦: ٤) فهي شمع (shema) أي: اسمع (بالعربية) ففي صيغتها العربية: «اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد» وفي العبرانية: «شمع يا إسرائيل ادونائي ايلوهيم ادونائي إحاد»[1]، وفي نفس السفر (٤: ٣٥): «إن

= واحد قال فيه المسيح عن نفسه: أنا إله، أو قال: اعبدوني»، مناظرة متلفزة، نقلًا عن: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، د.منقذ السقار، ص٢١.

(١) لاحظ تقارب الاشتقاق بين العربية والعبرية وبخاصة الاشتقاق الأكبر وهو اتفاق الكلمتين في بعض الحروف وفي الجنس لا في كل =

الـرب هـو الإله ولا إله سـواه»، «لا يكـن لـك آلهـة أخـرى أمامي» (تثنية ٥ : ٧)، «أنت الله وحدك« (مزمور ٨٦: ١٠)، «قبلي لم يُكوَّن إله وبعدي لا يكون أنا الرب وليس غيري مخلص»[١] (إشعيا ٤٣ : ١٠ـ١٢)[٢] وغيرها كثير.

أما في العهد الجديد فأول وصايا المسيح عليه السلام وأعظمها هي الأمر بالتوحيد، فعندما سئل: «أي وصية هي أول الكلّ؟» أجاب: «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»[٣] (مرقس ١٢ : ٢٨،

= الحروف، ومنشأ هذا بعد العهد، حتى كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: «إني لأعرف كثيرًا من كلامهم لتقارب اشتقاقه مع العربية» مع أنه لم يدرس العبرية، لكنه تبحَّر في التصاريف والاشتقاقات العربية، وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٢٦ـ٢٣٤).

(١) وهذا النص ينقض عقيدة الخلاص من جذورها.

(٢) كذلك (إشعيا ٤٥ : ٦، ٢١) «أنا الرب وليس آخر»، «لا إله آخر غيري».

(٣) فأي جناية ارتكبها من نقض العهد القديم وهاهو المسيح يعظّمه وينقل عنه؟!

٢٩) فأعاد على تأكيد التوحيد المأمور به في العهد القديم، فلُباب دعوة المرسلين واحد.

وحين طلب منه الشيطان السجود له زجره بقوله: «اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجُد وإياه وحده تعبد» وقال أكثر من مرة: «الإله الواحد» (يوحنا ٥: ٤٤، ١٧: ٣).

وقد شهد الله تعالى ـ وكفى بالله شهيدًا ـ لعيسى عليه السلام أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة بالدعوة إلى التوحيد والإيمان كما أُمر ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢][١].

لذلك فلما عدم الدليل الصريح في الأناجيل على ألوهية المسيح عليه السلام عمد بعضهم إلى تحريف طبعات الإنجيل الجديدة، فمن ذلك إضافتهم نص التثليث

---

(١) وانظر: المسيحية، ساجد مير، ص٩٦-٩٨.

الصريح الوحيد في يوحنا (١: ٥ـ ٧)، كذلك حرفوا جملة بولس: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (تيموثاوس ٣: ١٦)، فالفقرة كما قال المحقّق كريسباخ: محرفة، إذ ليس في الأصل كلمة الله بل ضمير الغائب هو أو الذي، وقد ترتب على هذا التحريف اللفظي إسقاطات محرفة كثيرة معنوية ولفظية[1]، وسنحاول أن نزيل اللبس عن طريق كشف الشبه ثم إقامة الحقيقة. وبحسب سيسل: «أول خطوة للمعرفة هي معرفة ما نجهله».

❁❁❁❁❁

(١) ومثله حذفهم في النسخة البروتستانتية لرسالة يهوذا (١: ٢٤، ٢٥) اسم المسيح المبيّن أنه واسطة الخلاص وليس هو المخلص، وجعلوا المسيح هو «الإله الحكيم الوحيد» بينما في النص الكاثوليكي الحديث عن الله «الإله الواحد مخلصنا بيسوع المسيح» (السابق ٢٣ـ ٢٥).

الفصل الأول

نقض شبه التأليه للمسيح عليه السلام

لقد حاول المؤلهون لعيسى عليه السلام أن يحتجوا على هذه العقيدة الوثنية بأمور منها:

١ـ نصوص نسبت إلى المسيح عليه السلام الربوبية والألوهية (رب ـ إله):

والجواب:

أولًا: أنا لا نسلم بسلامة تلك النصوص من التحريف عند النقل أو الترجمة، بل حتى الابتداء بالاختلاق، كما فصلناه سابقًا.

ثانيًا: أن هذه الإطلاقات ما كان لها أن تجعل المسيح ربًّا وإلهًا في عرف النصوص المسيحية، فقد نُعت بولس وبرنابا بذلك لما أتيا ببعض المعجزات «إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا» (أعمال ١٤: ١١) وقد كان من عادة الرومان تسمية من يفعل شيئًا فيه منفعة للشعب: إله.

ثالثًا: أن كلمة (الرب) الواردة كثيرًا في التراجم العربية كلقب للمسيح عليه السلام نراها في التراجم الأخرى بمعنى السيد والمعلم، وقد كان استعمال لفظ (الرب) بمعنى السيد شائعًا في اليونان، بل ورد في بعض المواضع الإشارة إلى ذلك الاحتراز عن طريق إدراج جملة تفسيرية بعد كلمة (الرب) وتفسيرها بالمعلم حتى لا يتطرق الوهم إلى السامع والقارئ فينسب الربوبية لغير الله تعالى ومن ذلك: «ربوني الذي تفسيره يا معلم» (يوحنا ٢٠: ١٦)، «رب الذي تفسيره يا معلم» (يوحنا ١: ٣٨).

أما قول توما: «ربي وإلهي» فهذا من باب الاستغاثة بالله وليس بالمسيح لأنه كان يظن المسيح ميتًا كما في (يوحنا ٢٠: ٢٨)، ويوضح هذا الأصل اليوناني المترجم عنه ففيه «وكانت ردة فعله» فالنصوص يفسر بعضها بعضًا، وقد يشكل على بعضهم قوله: «أجاب توما وقال له ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠: ٢٨) فيظن أنها خطاب للمسيح ولكنها في الحقيقة ليست كذلك فـ(له) في هذه الجملة أتت

بمعنى لأجله أو لأجل ما رأى، ولهذا شاهد في سفر صموئيل الأول (٢٠: ١٢) حينما دعا النبي يوناثان الله من أجل داود: «وقال يوناثان لداود يا رب إله إسرائيل... فإن كان خير لداود ولم أرسل حينئذ فأخبره» فمعنى (لداود) أي لأجل داود فهذا نداء لله وحده وليس لداود عليه السلام كما هو ظاهر من السياق، وفكذلك دعاء توما يحذى فيه حذوه.

رابعًا: استدلالهم بما في وعود العهد القديم بالملك القادم، فأوصافه لا تنطبق على المسيح عليه السلام بحال بل على أخيه محمد ﷺ[1]، والمسيح لم يملك على قومه يومًا واحدًا، كما أنه ليس فيها تأليه لبشر أصلًا.

خامسًا: في العهد القديم يكثر إطلاق كلمات (الرب، الله، الإله) على غير الله تعالى، ولا يقصد بها ظاهر اللفظ،

---

(١) وانظر: (محمد رسول الله ﷺ)، (سبع بشارات توراتية)، (أشهر بشارات العهد الجديد)، (المسجد الحرام والحج في صحف أهل الكتاب) ضمن هذه السلسلة.

إنما المراد التشريف ليس إلا[1]، ومن أمثلة ذلك في كلمة (الرب) «فدعت اسم الرب الذي تكلم معها» (تكوين ١٦: ١١ـ ١٣) ففيه إطلاق (الرب) على ملك، أما في إطلاق (الإله) فنراه في هذا النص قد أطلق على نبي «وأنت تكون له إلهًا» (خروج ٤: ١٦)، «أنا جعلتك إلهًا لفرعون» (خروج ٧: ١)، وفي إطلاق كلمة (الله) على نبي: «كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله» (صموئيل (١) ٩: ٩)، والمراد سؤال نبي الله واستفتائه، كذلك: «يقدم سيده إلى الله» (خروج ٢١: ٥، ٦)، والمراد به هنا هو القاضي لأنه

(١) مع طعننا في مصداقية النقل، ولكن هذا تنزلًا في الخطاب، علمًا بأن هذه الإطلاقات لا تجوز في الإسلام خلا كلمة رب مضافة أما مع التعريف بأل فلا تجوز، حفظًا لجناب الربوبية والألوهية. أما كلمة (الإله) فتطلق على غير الله لأنها بمعنى المعبود فكل من عبد غير الله فقد اتخذه إلهًا مع الله ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] أما اسم (الله) فلا يطلق على غير الله بأي حال من الأحوال، وهو أعرف المعارف وأخص الأسماء وإليه ترجع جميع الأسماء والصفات.

يحكم بشرع الله، بل قد امتدت هذه الإطلاقات لتشمل بني إسرائيل «أنا قلت إنكم آلهة»[١] (مزمور ٨٢: ٦). بل الأدهى من ذلك أن هذه الكلمات والمسميات قد أطلقت في الكتاب المقدس على الشيطان والبطن والآلهة الباطلة على سبيل المجاز كسابقتها.

فعلى الشيطان: «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين» (كورنثوس (٢) ٤: ٥)، وعلى البطن: «الذي إلههم بطنهم» (فيلبي ٣: ١٩)، وعلى الآلهة الباطلة: «وربنا فوق جميع الآلهة» (مزمور ١٣٥: ٥)[٢].

٢.يستدلون بنصوص تذكر أن المسيح ابن الله تعالى.

والجواب من وجوه:

أولًا: لم يذكر المسيح عليه السلام عن نفسه أنه ابن الله سوى

---

(١) لعل هذا من عقدة النقص والإذلال الذي مني به الكتبة فأفرزت مثل هذه العبارات الطائشة على صفحات الأسفار.

(٢) انظر: المسيحية دراسة وتحليل، ص٢٥-١٠٥، وكثير من الأجوبة في هذا الفصل مستلة منه.

ما نقله يوحنا[1] في موضع واحد فقط (١٠ : ٣٦) وما سوى ذلك هو من إطلاق معاصريه عليه، أما هو فقد وصف نفسه في ثلاثة وثمانين نصًّا بأنه ابن الإنسان[2]! فانظر إلى مدى ضلال من ترك المحكم الظاهر الصريح إلى نص مشتبه مختلق مزور!

لذلك فكثير من المحققين يشككون في صحة نسبة صدور هذه الكلمة منه أو من تلاميذه ابتداءً.

قال هارنيك: «إقحام الجملة (أنا ابن الله) في الإنجيل ليس من عمل يسوع نفسه، واعتبارها من نص الإنجيل بهتانٌ عليه».

وفي دائرة معارف الكتاب المقدس: «ما سمّى يسوع

---

(١) راجع الكلام عن هذا الإنجيل في: نظرة فاحصة في الكتاب المقدس «البيبل» ضمن هذه السلسلة.

(٢) في دائرة المعارف البريطانية: «لا يوجد في الأناجيل الثلاثة الأول ما يدل على أن مؤلفيها اعتبروا المسيح غير بشر» نقلًا عن السابق، ص١٠٦.

نفسه ابن الله قط، كما أنه لم يخاطب بهذا اللقب في حياته»[1].

وقال سنجر في كتابه (قاموس الإنجيل): «ليس من المتيقن أن المسيح نفسه قد استخدم ذلك التعبير».

وقال شارل جنيبر: «والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أنه لم يقل عن نفسه إنه ابن الله... فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين المتأثرين بالثقافة اليونانية»[2].

وقال ساجد مير: «يطلق لفظ الابن في الأسلوب السامي على الشخص الذي يكون محبوبًا عند شخص آخر أو له علاقة خاصة به، ولا يقصد بذلك الابن الحقيقي ولا الابن بالتبني،

---

(١) السابق، ص١٠٦.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٥٠، ويرى القس السابق (المسلم حاليًّا) سليمان مفسر ويوافقه د. جنيبر أن بولس هو أول من استعمل هذه الكلمة (ابن الله) وقد كانت حسب لغة المسيح بمعنى عبد الله، لكنه حين ترجمها لليونانية حرفها لتكون بمعنى طفل أو خادم تقربًا للوثنيين الجدد.

وقد ورد هذا اللفظ كثيرًا في العهد القديم»[١].

ثانيًا: يحدثنا الكتاب المقدس عن أبناء كُثُر فهل كلهم آلهة؟!

ومن أمثلة ذلك آدم عليه السلام: «آدم ابن الله» (لوقا ٣: ٣٨)، وسليمان عليه السلام: «أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا» (الأيام (١) ١٧: ١٢، ١٣)، والملائكة: «مثل الملائكة وهم أبناء الله» (لوقا ٢٠: ٣٦)، والحواريين: «أباكم الذي في السماوات» (متى ٥: ٤٨)، وكل المسيحيين: «أبانا الذي في السماوات» (متى ٦: ٩)، واليهود: «لنا أب واحد وهو الله» (يوحنا ٨: ٤١).

إذن فكيف تخصّون المسيح عليه السلام بالألوهية من دون هؤلاء مع أن الوصف واحد، والتفريق بين المتماثلات باطل عند النقاد كما أن الجمع بين المتناقضات باطل[٢].

---

(١) المسيحية، ص١١٠.

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ =

ثالثًا: في إنجيل يوحنا بيان أن المقصود بأولاد الله هم المؤمنين به «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يوحنا ١: ١٢)، إذن فهو إطلاق مجازي وليس حقيقي.

فإن قال قائل: إن المسيح قد خُص بأنه بكر الله ووحيده وأنه ابن العلي، فنقول: لم يخص المسيح عليه السلام بذلك، بل قد ذُكر غيره بها كيعقوب عليه السلام: «إسرائيل ابني البكر» (خروج ٤: ٢٢، ٢٣)، وإفرايم «وإفرايم هو بكري» (إرميا ٣١: ٩)، وداود «أجعله بكرًا» (مزمور ٨٩: ٢٦، ٢٧)، بل سائر أبناء إسرائيل أبناء للعلي في العهد القديم «وبنو العلي كلهم» (مزمور ٨٢: ٦).

رابعًا: الجواب عن ما تعلق به بعضهم من نزول المسيح عليه السلام من السماء؛ هو أن المقصود هو الوحي والشريعة وليس الذات، وهذا ليس محصورًا عليه فيوحنا

= ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠] أي أنهم أخذوا هذه الفرية ممن سبقهم من أمم الأوثان.

المعمدان (يحيى عليه السلام) موصوف بذلك كما في (متى ٢١: ٢٥، ٢٦) كذلك فالنازلون بذواتهم من السماء كثر كالملائكة الكرام (متى ٢٨: ٢)، والنبي أخنوخ (تكوين ٥: ٢٤) مع (يوحنا ٣: ١٣) وإيليا (الملوك (٢) ٢: ١١).

خامسًا: قول المسيح عليه السلام: «أنا لست من هذا العالم» (يوحنا ٨: ٢٣)، فمراده ترفعه عن حطام الدنيا وزينتها الفانية وزهده فيها وبراءته من المعاصي التي بها، وليس هو متفرد بهذا الوصف بل وصف بذلك تلاميذه «لكن لأنكم لستم من العالم» (يوحنا ١٥: ١٩).

٣- تعلقهم بنصوص تدل على الحلول الإلهي في المسيح عليه السلام أو الاتحاد الإلهي به ونحو ذلك، تعالى الله عن ذلك.

أ ـ نصوص الحلول والاتحاد:

الحلول من أمثال: «الآب في وأنا فيه» (يوحنا ١٠: ٣٨)، «الآب الحال فيّ» (يوحنا ١٤: ٩، ١٠).

والاتحاد من أمثال: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠٩)[1].

والجواب عن ذلك من وجوه:

أولًا: أن هذا الحلول أو الاتحاد ـ إن صح ـ فهو مجازي وليس حقيقي؛ فالله تعالى حسب الكتاب المقدس يحلّ في كثيرين، والمقصود حلول المواهب الإلهية من الإيمانيات والعلوم لا حلول الذات المقدسة العلية «من اعترف بأن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله... ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه» (يوحنا ٤: ١٥، ١٦) فهل كلهم آلهة؟!

ومثله: «أنا فيهم وأنت فيّ» (يوحنا ١٧: ٢٢).

ثانيًا: في العهد القديم «المكان الذي صنعته يا رب لسكنك» (خروج ١٥: ١٧) فهل تعبدون ذلك الجبل؟!

أما جملة «أنا والأب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠٩ فهي

(١) لذا فلا عجب أن يكون إنجيل يوحنا هو إنجيل الكنيسة العامة.

عبارة مجازية كذلك في هذا السفر المليء بالمجاز[١].

ويتضح هذا من قراءة سباق وسياق الجملة وربطها بما قبلها وبما بعدها، فهو يتكلم عن خِرَافِه (تلاميذه) التي سيعطيها الحياة الأبدية (الجنة) ولن يستطيع أحد أن يسلبها من الله (الذي هو أعظم من الكل) فالله يريد لها الخير كذلك المسيح يريد لها الخير، إذن فهي وحدة هدف لا وحدة جوهر. وهذا المعنى والتفسير قد أكده د. واين جردوم أستاذ علم اللاهوت المسيحي[٢].

لذلك لما همّ اليهود برجمه اتضح له أنهم فهموا كلامه خطأ فاستغرب ذلك مع معرفتهم للغة الكتاب المقدس في

---

(١) لاحظ أنها قد وردت في إنجيل يوحنا المليء بالمجازات والاستعارات الفلسفية والكلمات المطاطية التي تحمل كثيرًا من الأوجه، قال القس جيمس أنس: «لا تصح في هذا الإنجيل التفسيرات الحرفية». علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، ص٧١٣.

(٢) في كتابه: كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي، ص٢٠٢.

استخدام الاستعارات والمجازات، فعاتبهم قائلًا: «أليس مكتوبًا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة» وقصده ما جاء في المزامير (مزمور ٨٢: ٦) «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم» أي فكيف تستغربون مني هذه الاستعارات؟[١]!

ب ـ من متعلقاتهم بالتأليه[٢] قول المسيح عليه السلام فيما يروونه عنه: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩).

والجواب: أنه يلزم من أخذهم بظاهر اللفظ وطَرْد أصلهم أنَّ صفع المسيح عليه السلام من قبل اليهود وبصقهم عليه وتعذيبه

---

(١) في القرآن الكريم ورد نحو هذا التعبير كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] مع ذلك فلم يفهم منه المسلمون اتحاد الذات، بل فهموا أن الله هو المطاع لأنهم أطاعوا رسوله، وهو الـمُبَايَعُ لأنهم بايعوا رسوله بأمره، فهو المطاع والمبايع بواسطة رسوله محمد ﷺ. وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٢٩).

(٢) عقد الإمام ابن القيم فصولًا نفيسة في إبطال تأليه المسيح عليه السلام في كتابه: هداية الحيارى، ص٣٤٦ـ٣٧١.

وشد المسامير في قدميه ويديه وصلبه ــ المزعوم ــ يعتبر صفعًا وبصقًا وصلبًا لله ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ[1]، بل وكل صفات المسيح من أكله للطعام[2] ونحوه مما هو موجود في

---

(١) وقد التزم بهذا اللازم بعض الأرثوذكس!

(٢) في القرآن العظيم تعريض بذلك، قال تعالى في وصف المسيح وأمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، ومن أكل الطعام احتاج لإخراجه على طبيعة البشر ونقصهم البشري وغريزتهم الإنسانية، فكيف تقولون: المسيح ابن الله؟ لذلك فقد زجر الله تعالى مفتري هذه الفرية والبهتان في كثير من الآي الكريمات: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٩ـ ٩٢]، والمولود من جنس الوالد فكيف يكون هذا؟! لذا فجريمة المؤلهة عظيمة جدًّا لأنها عين المسبة لله رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين، تعالى وتقدس عن قول كل أفاك أثيم.

العهد الجديد من وصف المسيح عليه السلام بما يلي:

الولادة ــ سلسلة النسب ــ العمل ــ يركب الجحش ــ يأكل ـ يشرب الخمر ويسقيه! ـ ينام ــ يلبس الحذاء والقميص ــ يصلي ــ كان مواطنًا صالحًا ــ يدفع الضريبة بانتظام ــ ابن يوسف النجار! ـ نشأ نشأة روحية ـــ مسلوب القوة! ـ يجهل وقت قيام الساعة ـ تعلم من خلال التجربة! ـ يتعمد ــ يتوب ويعترف بالخطأ ـ غير اليهود في نظره كلاب! ـ يتعب ــ ينزعج ويضطرب ــ يبكي ــ يحزن ويكتئب ــ يندهش ــ ضعيف! ـ يخاف ـ يفر! ـ يخرج متخفيًا من اليهود ـ خافه تلميذه ــ أوثقت يديه! ـ لم يستطع الدفاع عن نفسه ـ مات![1].

إذن يجب رد تلك النصوص المتشابهة المنسوبة للمسيح عليه السلام إلى نصوصه المحكمة الواضحة التي تنص صراحة على الوحدانية والفردانية والربوبية والألوهية لله وحده لا شريك له «أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل» (يوحنا ١٠: ٢٩)، «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤: ٢٨).

(١) وكلها موجودة في العهد الجديد، وقد آثرنا الاختصار والاقتصار.

جـ ـ ومن متعلقاتهم بالتأليه: النصوص المثبتة لمعية المسيح عليه السلام الأبدية:

مثل: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠).

وقبل الإجابة المباشرة لابد من بيان معنى معية الله تعالى لخلقه، فالمقصود بها هي المعية المعنوية سواءً كانت عامة بمعنى السمع والبصر والعلم والإحاطة أو خاصة بمعنى الهداية والنصر والتأييد، وليس المقصود بها معية الذات التي يتصورها بعض العامة بمعنى الخلطة ونحوها، وقد وردت المعية كثيرًا في الكتاب المقدس[1] «والرب

---

(١) كذلك في القرآن الكريم: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]، ولشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية بيان بديع للمعية في رسالته العظيمة (الواسطية).

معكم» (الأيام (٢) ٢٠: ١٧)، «الرب إلهكم سائر معكم» (تثنية ٢٠: ٤)، «الرب معكم ما كنتم معه» (الأيام (٢) ١٥: ٢٠).

أما بخصوص المعية المزعومة من أن المسيح مع الناس حتى يوم الدينونة؛ فإن المسيح عليه السلام قد نفاها عن نفسه «وأما أنا فلست معكم في كل حين» (متى ٢٦ك ١١)، «أنا معكم زمانًا يسيرًا بعدُ ثم أمضي إلى الذي أرسلني» (يوحنا ٧: ٣٣)، «ولست أنا بعدُ في العالم» (يوحنا ١٧: ١١)، إذن فحضوره معهم هو حضور شريعته وتعاليمه ووصاياه وإنجيله، وقبل ذلك حضور عناية الله تعالى بهم إن هم تمسكوا بنهجه وسنته.

د ــ ومن شبههم: النصوص الدالة على أن المسيح صورة الله:

كقول بولس: «مجد المسيح الذي هو صورة الله» (كورنثوس ٤: ٤)، وقوله الآخر: «الذي هو صورة الله» (كولوس ١: ١٥)، كذلك (فيلبي ٢: ٢ـ٧).

وعند التأمل نجد أن هذه الأقوال كلها صادرة عن بولس فقط، الذي لم ير المسيح عليه السلام طرفة عين، وهذه العبارات لم تنقل عن أحد من تلاميذ المسيح عليه السلام، وهذا كافٍ لإضفاء ظلال الشك والارتياب عليها. ثم إن الصورة تغاير الذات فإن كنت تُشبِهُني في الصورة لا يعني ذلك أننا شخص واحد، وصورة الله تعالى هنا ـ تنزلًا ـ تعني نائبةُ في إبلاغ دينه وشريعته، كما قال بولس نفسه ـ وهو مخترع هذه العبارة ـ: «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده أما المرأة فهي مجد الرجل» (كورنثوس ١١: ٧).

وفي (التكوين ١: ٢٦، ٢٧) أن صورة آدم كصورة الله «قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الإله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه»[١]، وحتى يستقيم الفهم والتصور جيدًا في فهم عبارات العهد

(١) انظر الكلام على حديث الصورة: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام (٥/ ٨٣) كذلك (٥/ ٧٦ـ ٨٢)، كذلك شرح العقيدة السفارينية للعلامة محمد العثيمين ص٢٥٢ـ٢٥٤.

القديم فقد جاء في إشعيا «قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون» (إشعيا ٤٣: ٩ـ ١١).

هـ ـــ ومن متعلقاتهم النصوص التي تذكر السجود للمسيح عليه السلام.

من أمثال: «إذا رئيس قد جاء فسجد له» (متى ٩: ١٨)، «إذا أبرص قد جاء فسجد له» (متى ٨: ٢).

والجواب: أن هذا ليس خاصًّا به من جهة، ومن جهة أخرى فمن أين لكم أنه لم ينكر على من سجد له؟! وعدم العلم ليس نقلًا للعدم، بل قد جاء في العهد القديم ما ينقض ذلك وفي العهد الجديد كذلك، كما في زجره للشيطان: «للرب إلهك تسجد» (متى ٤: ٧)، وهذا ليس خاصًّا به ـ على القول بجوازه في شريعتهم[1] وأنه من باب

---

(١) كما في سورة يوسف ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان هذا سائغًا في شرائعهم ولم يزل جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فحرم في هذه الملة، وجُعل السجود مختصًّا بجناب الرب سبحانه وتعالى»، ثم ذكر الآثار في ذلك. =

إظهار الاحترام وليس العبادة ـ فقد وردت أخبار كثيرة في العهد القديم تفيد ذلك كسجود إبراهيم عليه السلام لبني حث (تكوين ٢٣: ٧)، وسجود يعقوب عليه السلام وأزواجه وبنيه لأخيه عيسو بن إسحاق عليه السلام (تكوين ٣٣: ٣ـ ٧)، وسجود موسى عليه السلام لحميه (خروج ١٨: ٧)، وسجود إخوة يوسف عليه السلام له (تكوين ٢٤: ٦)[1].

٤- تعلقهم بنصوص نسبت صفات الله تعالى للمسيح عليه السلام.

من أمثال:

أ- أزلية المسيح عليه السلام:

«من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا» (يوحنا ٨: ٥٦ـ

= تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي (٤/ ٤١٢).

(١) أما ما نقل من رفض بطرس وبولس لسجود الوثنيين لهما فربما لأنهما ظنا أن أولئك كانوا يسجدون لهما عبادة وتعظيمًا لا احترامًا وتشريفًا، أو هو من باب سد الذريعة إلى الشرك وهي التي تختلف باختلاف الأحوال.

٥٨)، «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية» (الرؤيا ١: ٧، ٨)، «في البدء كانت الكلمة» (يوحنا ١: ١، ٢).

والجواب من وجوه:

أولًا: أن الوجود الزمني هنا ليس الوجود الذاتي بل هو الوجود القدري الاصطفائي، كما قال بولس عن نفسه وأتباعه: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين» (أفسس ١: ٤)، وكما قال كذلك عن المسيح عليه السلام: «وكان قبل ذلك اصطُفي قبل إنشاء العالم» (بطرس ١: ٢٠)، وممن شارك المسيح في تلك الأزلية المدّعاة ملكي صادق «ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي[1] بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه

---

(١) وهذا من أفحش الكذب على الله تعالى كأنّه محتاج إلى كاهن يكشف له حجب الغيب، ألا لعنة الله على الظالمين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: ١٨]، [الأنعام: ٢١، ٩٣]، [العنكبوت: ٦٨]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩].

بابن الله» (عبرانيين ٧: ١ـ ٣) فصفات هذا الكاهن الملكي المفترى أقرب إلى التأليه من المسيح!

ثانيًا: ذكر الألف والياء إنما هو في الرؤيا اللاهوتية المنامية ليوحنا اللاهوتي، وهي كما قال العلامة أحمد ديدات: «مجرد رؤيا منامية غريبة رآها يوحنا، وهي منام مختلط كسائر المنامات التي يراها الناس، وقد رأى حيوانات لها أجنحة وعيون من أمام وعيون من وراء وحيوانات لها قرون بداخل قرون...! فهل يعوّل على ذلك؟!»[1] (الرؤيا ٤: ٨) ثم في آخر الرؤيا تنسب هذه الجملة إلى الملاك وليس للمسيح (الرؤيا ٢٢: ٨ـ ١٣) ثم أين معنى الألف والياء والبداية والنهاية الذي يحتمل كثيرًا من المعاني التي قد ينقض بعضها بعضًا، ولو اجتمع على تفسيرها عشرة لخرجوا بأحد عشر قولًا؟! وهذه نتيجة المجاز.

---

(١) مناظرة العصر، أحمد ديدات ص٦١، ٦٢.

ب ـ يحتجون بمقدمة إنجيل يوحنا:

وهي: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء وبه كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يوحنا ١: ١ـ٣).

ولنا وقفات:

الأولى: نبه بعض المحققين أن هذا النص قد انتحله كاتب الإنجيل من فيلون الإسكندراني[(١)] (ت: ٤٠م)، قال فيلسيان شالي: «فكرة الكلمة التي جاءت من فلاسفة رواقيين، ومن فلسفة اليهودي (فيلون) استعارة من هذه العقائد أو النظريات على يد القديس جوستين ويد مؤلف الأسطر الأولى من الإنجيل الذي يُعزى إلى القديس يوحنا»[(٢)].

---

(١) السكندري.

(٢) موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ص٣٤٧، وانظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٩٠٣، نقلًا عن كتاب: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، ص٧٤.

هذا ويرى علماء اللاهوت أن مصطلح (الكلمة)[1] بتركيباته الفلسفية غريب عن بيئة المسيح عليه السلام وبساطة أقواله، وعامية تلاميذه وعفويتهم، وبخاصة يوحنا كما في أعمال الرسل (٤: ١٣) «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان» فكيف يأتي هذا العامي بهذه التراكيب المعقدة ذات الإسقاطات البعيدة والخلفيات العميقة؟!

وهي ليست بشيء عند التأمل والتدقيق، بل حتى بالبداهة وبادي الرأي، وكما قال الفيلسوف البريطاني ديفيد هيوم: «الرجل الحكيم هو الذي ينسب اعتقاده إلى الدليل» ويقصد به الدليل العقلي أو البرهان الحسّي، وليس عند الكنيسة من ذلك شروى نقير فيما يخص الاعتقادات.

وقد نبّه الشيخ ديدات إلى أن ثمة تلاعبًا في الترجمة الإنجليزية وهي الأصل الذي تُرجم عنه الكتاب المقدس إلى لغات العالم، فعند العودة إلى الأصل اليوناني القديم الذي

---

(١) وهي ما يعبر عنها باللوغوس.

يعتمد عليه النص الإنجليزي نجد أنه بدلًا من كلمة «الله» قد كتب «إله» وهنا يتغير المعنى ويفتح الباب على مصراعيه لأكوام المعاني المجازية دون الحقيقية، ولكن بعد تحريف النسخة الإنجليزية المترجمة عن اليونانية نُفي المجاز وأثبتت كلمة «الله» لتكرس الفهم المحدث المبتدع الجديد[١].

الثانية: معنى كلمة «البدء» لا يلزم منه الأزل، بل يحتمل معان أخرى كخلق السماوات والأرض مثل: «في البدء خلق الله السماوات والأرض» (تكوين ١: ١) وهي أول عبارة في الكتاب المقدس، وقد يكون مقصود الابتداء أول زمن المسيح عليه السلام وعهده «كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء» (لوقا ١: ٢)، كذلك (يوحنا ٨: ٢٥).

الثالثة: معنى «الكلمة» لا يختص بعيسى عليه السلام وحده «وكانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا» (لوقا ٣: ٢) ومن معانيها الأمر الإلهي الذي به خلق الكون «بكلمة الرب

---

(١) مناظرات في استكهولم، أحمد ديدات، ص١٣٥ـ ١٣٧، وانظر: المسيح في الإسلام: أحمد ديدات، ص٨٤ـ ٨٧.

صنعت السماوات» (مزمور ٣٣: ٦ـ٩)، ومن معانيها وعد الله «أين هي كلمة الرب لتأتي» (إرميا ١٧: ١٥، ١٦).

وليس في الأسفار وكتب الأنبياء البتة ذكر المعنى الذي تذكره الكنيسة للكلمة «اللوغوس» حيث تفسر الكلمة بأنها الأقنوم الثاني للثالوث الأقدس ــ المفترى ــ فلم يرد هذا المعنى الوثني الفلسفي في كلامهم وآياتهم.

الرابعة: جملة «وكان الكلمة الله» غاية ما فيها تسمية المسيح بأنه «الله» وقد سبق الكلام على ذلك، فقد أطلق العهد القديم على القضاة ذلك المسمى «الله قائم في مجمع الله» (مزمور ٨٢: ١) وأشراف اليهود «قدام الآلهة أرنم لك»[١] (مزمور ١٣٨: ١)، وقال لموسى عن هارون «وهو يكون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا» (خروج ٤: ١٦).

خامسًا: عبارة: «والكلمة كان عند الله» فالعندية لا تعني المثلية والمساواة إنما تعني أن الكلمة خلقت بقدرة الله، كما في

(١) ولعل هذه الأوصاف والمسميات هي من افتراءات الكتبة الكذبة وليست في زبور داود ولا توراة موسى ولا كتب الأنبياء عليهم السلام.

قول حواء: «اقتنيت رجلًا من عند الرب» (تكوين ٤: ١)، «كبريتًا ونارًا من عند الرب» (تكوين ١٩: ٢٤)[1].

٥ـ ومن متعلقاتهم بالتأليه للمسيح عليه السلام ما ورد من نسبة أفعال الله تعالى إلى المسيح عليه السلام.

ومن ذلك:

أـ إسناد الخالقية لله تعالى بالمسيح عليه السلام.

ومنها قول بولس: «فإن فيه خلق الكل» (كولوسي ١: ١٦)، «الله خالق الجميع بيسوع» (أفسس ٣: ٩)، «كان في العالم وكوّن العالم به» (يوحنا ١: ١٠).

والجواب من وجوه:

أولًا: تقرير مبدأ أن ابتداء الخلق هو من الله تعالى

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١] أي مرسل من الله، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] أي ثوابًا وأجرًا من الله، والآيات في هذا كثيرة.

وحده، وهذا مقرر في كافة نصوص العهدين[١] «في البدء خلق الله السماوات والأرض» (تكوين ١: ١)، «هكذا يقول الله الرب خالق السماء» (إشعيا ٤٢: ٥)، وقال برنابا وبولس: «الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (أعمال ١٤: ١٥)، فلم يُذكر في الكتاب المقدس خالقٌ على الحقيقة سوى الله وحده، وهذه من كبريات العقائد عند أكثر البشر، بل حتى عند كثير من الوثنيين لإلحاح الفطرة على إثباتها، ولأنها من أخص صفات الربوبية مع الملك والتدبير.

ثانيًا: الجواب عن الأقوال الناسبة للمسيح الخالقية، فهذه تتحدث عن الله الذي خلق بيسوع أي هدى به الناس، كما صنع المعجزات بيد يسوع (أعمال ٢: ٢٢) لذلك فلا

(١) وفي القرآن العظيم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

يوجد نص في الكتاب المقدس يفرد صفة الخلق بيسوع أبدًا.

أما مفهوم أن الآب (ويقصد به الله ـ تعالى الله عن الأبوة والصاحبة والولد[١] ـ) خلق العالم بواسطة الابن (بالمعنى الظاهري) فهذا فهم غريب لم تنطق به أنبياء العهد القديم ولا الجديد، إنما يُفهم ــ على نحو ما ــ من كلام بولس ومقدمة يوحنا الفلسفية المستمدة من الفكر الأفلاطوني والفلسفات الغنوصية التي تعتقد أن الله أشرف من أن يخلق الخلق بنفسه، لذلك ينيط هذا الفعل بالعقل الكلي أو الملائكة، علمًا

(١) من أعظم سور القرآن الكريم سورة الإخلاص، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، وهي تعدل ثلث القرآن الكريم لأنها صفة الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، والمسلمون يقرؤونها في الصباح والمساء، وعند المنام، وفي صلاة الوتر ونافلة الصبح والمغرب، وفي الرقية وغيرها، وقد تضمنت معان شريفة عظيمة غزيرة. وللشيخين ابن تيمية وابن القيم تفسير ماتع لها، ومهما كتب البشر واستنبطوا من معانيها السامية المهيبة الجليلة فلن يحيطوا بكل معانيها.

بـأن هـؤلاء الفلاسـفة والملاحـدة يحيـدون دومًـا عـن سـؤال العقـلاء: فمـن خلـق الأول؟! أي مَـن خلـق هـذه المخلوقـات التي تزعمونها خالقة؟ فلا خالق في الحقيقة إلا الله وحده لا شريك لـه وهـو الأول والآخر سبحانه وبحمده. ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطـور: ٣٥] والمــسيح مخلــوق مصنوع «بكر كل خليقة» (كولوسي ١: ١٥).

ثالثًا: الذي عجز عن رد الحياة لنفسه عندما مات ــ على حد زعمهـم ــ لهو أعجز من أن يكـون خالقًا للكـون! أو أن يُـخلق بـه! «فيـسوع هـذا أقامـه الله» (أعـمال ٢: ٣٢)، «والله الآب الذي أقامه من الأموات» (غلاطية ١: ١).

أمـا إذا أخـذنا بـالمعنى الـذي يوجـه الخالقيّـة لتكـون بمعنى أنه سبب للهداية فإن النصوص تستقيم في المعنى ذاتـه، حتـى المتعارضـة منهـا مثـل كـون التلاميـذ بـاكورة المخلوقات «لكي نكون باكورة من خلائقه» (١: ١٨) أي أوائل المهتدين الذين تلبسوا بالخليقة ـ الدينية ـ الجديدة.

وعليـه فالمقـصود مـن خلـق المـسيح للبـشر هـو الخلـق

المعنوي الذي به تحيا الأرواح الشريفة، فالمسيح عليه السلام والمصلحون جعلهم الله سببًا في إحياء القلوب الميتة من موات الكفر والشرك والظلم والفسق، ولعل هذا المعنى هو الذي عناه بولس، فقد قال قوله السابق: «فإن فيه خلق الكل...» (كولوسي ١: ١٦، ١٧)، ثم قال بعدها بسطرين فقط: «وأن يصالح به الكل نفسه عاملًا الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات» (كولوسي ١: ٢٠) فعمم الصلح ـ التدين والإيمان بالمخلص ـ لأهل السماء والأرض، وبما أن أهل السماء ليسوا بحاجة للتخليص إذن فيعود على أهل الأرض المفتدَين بالمسيح، فتكون هذه النصوص من العام الذي يراد به الخصوص، كما أن هذه المبالغات معهودة بكثرة في الكتاب المقدس كما في (التثنية ١: ١٠، ١١) (القضاة ٧: ١٢) (يوحنا ٢١: ٢٥).

ب ـ إسناد الدينونة للمسيح عليه السلام:

ويقصدون بالدينونة حساب الخلائق يوم الدين(١)

---

(١) في سورة الفاتحة ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] أي مالك يوم =

والقيامة الكبرى، بمعنى أن المسيح هو ديان الخلائق يوم القيامة ــ تعالى الله عن ذلك ــ «وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا» (يوحنا ٥: ٢٧) ثم قالوا: بأن التوراة تقول: «الله هو الديان» (مزمور ٥٠: ٦)، إذن فعلى ذلك فالمسيح إله! ـ تعالى الله عن ذلك..

والجواب من وجوه:

الأول: أن نقض الحجة موجود في دليلها الثاني، فالتخصيص يقتضي المغايرة، فتقديم ما حقه التأخير يقتضي التخصيص، كذلك أكد التخصيص بلفظ «هو» إضافة إلى دخول «ال» الاستغراقية الجنسية التي تفيد الاستغراق والشمول.

الثاني: يستحيل في عرف المسيحيين أن الله تعالى هو

= الجزاء والحساب. فالذي يدين الأولين والآخرين هو الله وحده لا سواه، أما الأنبياء والملائكة وغيرهم فشهود فقط لا يدينون أحدًا، بل الديّان هو الله وحده.

المسيح ابن مريم بكل تجلياته وصفاته، بل هناك نصوص إنجيلية تمنع من أن يكون المسيح هو الديان فمنها «لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يوحنا ٣: ١٧)، فالمسيح لن يدين أحدًا لا من آمن به ولا من كفر به على مقتضى هذا النص، بل نزيد في الإيضاح براءته من الدينونة مطلقًا «وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه» (يوحنا ١٢: ٤٧، ٤٨) أي الله وحده.

الثالث: المسيح عليه السلام لا يستطيع فعل شيء في يوم الحساب «الدينونة»! إلّا فيما أذن الله له فيه، حتى إنه لا يستطيع الشفاعة لابني خالته وتلميذيه أن يجلسا عن يمينه وشماله يومئذ[1] «فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعدّ لهم من

---

(١) أما الشفاعة العظمى وهي الشفاعة للبشر عند الله أن يقضي بينهم يوم الحساب ويخلصهم من كربات الموقف في عرصات القيامة فإن المسيح عليه السلام يحيل الناس إذا أتوه طالبين الشفاعة إلى محمد =

أبي» (متى ٢٠: ٢٠ـ ٢٢) ومن كانت هذه حاله فهو عن الدينونة المطلقة أعجز، فصلوات الله وسلامه على المسيح ابن مريم الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح أمته حق النصح، ولكن أكثرهم لا يعلمون، وسيقول المسيح يومئذ ضارعًا إلى ربه متبرئًا من شرك قومه: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

الرابع: الدينونة المذكورة في الأناجيل المعتمدة ليست خاصة بالمسيح وحده بل تلاميذه كذلك سيدينون العالم ـ على حد تعبير الأناجيل! ـ بما فيهم الخائن[(١)] يهوذا

= ﷺ كما يفعل آدم ونوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، فيشفع محمد ﷺ للخلائق عند الله ويسجد تحت العرش فتقبل شفاعته فيحاسب الله الخلائق كما في حديث الشفاعة الطويل وهو عند البخاري (٧٥١٠).

(١) تتهمه الأناجيل بأنه قد خان معلمه ونبيه المسيح بالدلالة عليه حينما اختفى من اليهود والرومان، وهناك روايات ـــ خارج الأناجيل الأربعة ـ تفيد أن يهوذا هو مفتدي المسيح، وأن المسيح =

الإسخريوطي «تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًّا تدينون أسباط بني إسرائيل» (متى ١٩ : ٢٨)، بل حتى بولس وغيره ممن يلقّبون بالقديسين سيدينون العالم «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم» ولن يكتفوا بدينونة البشر بل سيدينون حتى الملائكة «ألستم تعلمون أننا سندين الملائكة» (كورنثوس ٦: ٢ـ ٤) فهل كل هؤلاء ديّانون؟! وهل كلهم بعد ذلك آلهة[1]؟! ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢].

ولعل الدينونة المقصودة في أسفار العهد الجديد هي

= طلب من حوارييه أن ينتدب واحدٌ منهم ليُلقى الشبه عليه فيصلب فيكون معه في منزلته في الجنة، وهناك إنجيل باسم إنجيل يهوذا ـ كما مر معنا في رسالة (المسيحية من التوحيد إلى الوثنية) ـ يدافع عن هذا التلميذ، والله وحده أعلم بحقيقته.

(١) إذن فعلى هذا المفهوم فالباباوات الفسقة كالإسكندر السادس وأشباهه سيدينون العالم! إذن فمن سيدين من؟! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

دينونة الشهادة[1] وليست دينونة الحساب، والعلم عند الله تعالى.

جـ ـ تعلقهم بالنصوص التي تذكر غفران المسيح عليه السلام للذنوب:

قال للمجدلية: «مغفورة لك خطاياك» (لوقا ٧: ٤٨)، وللمفلوج: «مغفورة لك خطاياك» (متى ٩: ٣)، والمغفرة ـ كما يرون ـ هي من خصائص الألوهية، فعلى ذلك فالمسيح إله ـ بزعمهم ـ!

والجواب ــ بكل إيجاز ـ: فأين الوحي إذن؟! فالمسيح عليه السلام بشّر مريم المجدلية والمفلوج بمغفرة الله تعالى لهما بناء على وحي الله تعالى له بذلك وإخباره أن الله قد غفر لهما، وليس معنى ذلك أن المسيح هو من قام بالمغفرة، بل

(١) أي الشهادة على الناس بالخير أو بالشر، وهذه ليست ممتنعة فالشهداء يوم القيامة كثر ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

إنه قد نفى ذلك عن نفسه صراحة حينما اتهمه اليهود بالتجديف[١] إذ قال للمرأة: «إيمانك قد خلّصك» (لوقا ٧: ٤٦ـ ٥٠)، فالله قد غفر للمرأة بسبب إيمانها والمسيح أخبرها ببشارة الغفران، ويتضح ذلك من قراءة سياق القصة وأن ليس له من الأمر شيء من تلقاء نفسه، لا للمرأة (لوقا ٧: ٤٦ـ ٥٠) ولا للمفلوج (متى ٩: ٣ـ٨).

وهذا السلطان الذي أعطاه الله إياه إنما هو الوحي المنزل والمعجزات الباهرة[٢] المبرهنة على نبوته ورسالته،

(١) التجديف هو سب الدين أو القدح في مقام الألوهية والربوبية لله تعالى.

(٢) قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وليس المراد الصفة الإلهية «كل شيء قد دفع إلي من أبي» (لوقا ١٠: ٢٢) وإلا فهو لا حول ولا قوة له «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا» (يوحنا ٥: ٣٠).

وبعد ذلك التحريف المعنوي طرأ التحريف اللفظي فأُعطي الغفران لغير المسيح عليه السلام، فيوحنا يعطي التلاميذ صكًّا مفتوحًا بالغفران لجميع الذنوب والخطايا «من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يوحنا ٢٠: ٢٣) فهم إذًا ـ على حد عبارة يوحنا ـ كالمسيح تمامًا في الغفران، فهلّا اتخذتموهم آلهة من دون الله؟! ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠][1].

---

(١) وهذه التكأة ـــ ملكية الغفران والحرمان ـــ استندت عليها الكنيسة الملكية الرومانية فأصبحت ـــ بصفتها المزعومة نائبة المسيح ـــ تمنح صكوك الغفران لمن يدفع الأموال، ثم صار هذا السلطان ـ المفترى ـ للقسس والكهنة الذين لهم حق المغفرة بعد كشف أسرار الناس في أدق خصوصياتهم، واستخدام هذه الفضائح في أمور لا تخفى.
وتزعم الكنيسة الرومانية البطرسية أن المسيح قال لبطرس: «أنت =

= بطرس... وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله في الأرض يكون محلولًا في السماوات» (متى ١٦: ١٩)، وبما أن بطرس رحل إلى روما وأعطى قسسها سلطانه ـ مع أن بطرس لم يطأ أوروبا قط ـ فعلى ذلك فللكنيسة حق تبديل الشريعة وتحليل الحرام وتحريم الحلال بربط أو حل أي أمر! ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وهذا أحد أسباب ثورة الإصلاحيين البروتستانت (المحتجين) الذين رفعوا شعار حرب بيع صكوك الغفران.

ولم يقف حق التحليل والتحريم عند حدّ إجماع رجال الكنيسة، بل وصل لمرحلة أن يكفي اتفاق اثنين فقط من رجال الدين على عقد أو نقض أي أمر فيكون في السماء على هواهما، ويكون مباشرة شرعًا سماويًّا! «كل ما تربطون على الأرض يكون مربوطًا في السماء... إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء ويطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات» (متى ١٨: ١٨ـ ٢٠) فهل كل هؤلاء آلهة؟! وأي لعب ولهو بالدين أكثر من ذلك؟! قال الله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ =

وبالجملة فالمسيح عليه السلام لا يملك المغفرة لذنوب العباد، إنما يطلبها لهم من الله تعالى ويستغفره لهم، كما هو ديدن المؤمنين والمصلحين، وقد ورد هذا في دعائه لليهود واستغفاره لهم: «فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤)[١].

= مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٠، ٧١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١] والنسيان هنا هو الترك في العذاب عياذاً بالله تعالى.

(١) وهذا الخلق النبيل والشفقة بالناس من هذا النبي الكريم دليل كمال رحمته بالبشر وهذه صفة راسخة في الأنبياء، فقد وصف رسول الله ﷺ أحد الأنبياء ويده على رأسه ووجهه، يتقي بها أذى قومه وقد ضربوه فأدموه وهو يقول: **«اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»** (متفق عليه)، وهو عين ما قاله ﷺ في أحد: **«اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»** رواه ابن حبان في صحيحه، وحينما أراد =

٦ـ ومن متعلقاتهم الاستدلال بمعجزات المسيح عليه السلام على ألوهيته.

تذكر أناجيل العهد الجديد خمسًا وثلاثين معجزة

= أهل مكة البطش به وأرسل الله تعالى له ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين ـ إن أراد ـ قال: «**بل أستأني بهم، فلعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله**» مجمع الزوائد، ١١١٢٩، وقد وفّى الله حسن ظنه فآمن كثير منهم به بعد ذلك، وأخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ويوحده، حتى أخرج من صلب عدو الله أبي جهل رجلًا من أصلح الناس وهو ابنه عكرمة الذي استشهد في اليرموك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا وطلب المغفرة (الاستغفار) للنفس أو للغير من شعائر المسلمين الذين يشفقون على أنفسهم وعلى الناس من عذاب الله، بل حتى الملائكة تستغفر للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وتأمل هذه العظمة والجلال والبهاء في هذه الآية أو غيرها من آي القرآن العظيم، وقارنها با شئت من آي الأسفار تجد الفرق إن كنت ذا علم وحس وصدق وذوق.

للمسيح عليه السلام، كولادته من غير أب وإحيائه للموتى وشفائه للأمراض وإخباره بالمغيبات...[(١)] ثم يستدلون بذلك على ألوهيته وإشراكه مع الله ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ..

والجواب عن ذلك من وجوه:

أولًا: أن هذه المعجزات الخارقة للعادة هي من الله وحده القادر على كل شيء؛ فالخلق خلقه والأمر أمره

(١) وفي القرآن الكريم تصديق ذلك، وربطه بعبودية المسيح عليه السلام لربه تعالى الذي أيده وصدّق رسالته بهذه الدلائل والمعجزات ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران: ٤٩ـ ٥١].

والحكم حكمه، فهي من الله وحده استقلالًا، وليست من عند غيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهي ما يسميها المسلمون «دلائل النبوة» وفائدتها إثبات صدق كلام النبي في أنه مرسل من ربه، وهذه المعجزات هي الأدلة والبراهين على صدق دعواه، فلو كان كاذبًا لم يخرق الله تعالى له العادة ولم يجرها على يديه.

والمسيح صلوات الله وسلامه عليه قد أكد مرارًا وتكرارًا على أن هذه المعجزات من عند الله وليست من عنده «أنا بروح القدس أخرج الشياطين» (متى ١٢: ٢٨)، «لأنكم تقولون إني ببعلزبول[١] أخرج الشياطين فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يُخرجون لذلك هم يكونون قضاتكم ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لوقا ١١: ١٩-٢١).

ولما أحيا لعازر بإذن الله شكر الله تعالى على إجابته لدعائه وضراعته، ولتصديقه في دعواه النبوة حيث أجرى

---

(١) بعلزبول في اصطلاحهم هو إبليس، أعاذني الله وإياك منه.

على يديه هذه المعجزة العظيمة «رفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني» (يوحنا ١١: ٤٠، ٤١)، وتأمل جملته الأخيرة[١]. وقال: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا» (يوحنا ٥: ١١) فماذا بقي من مستمسكاتهم لتأليهه؟! ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

وقد علّق طامس إيملن على هذا قائلًا: «لا ريب أنه صوت إنسان وليس صوت إله»، وقال هاستنجر: «والعهد الجديد لا يترك مثقال ذرة من شك في بشرية المسيح»[٢].

ثانيًا: أن المعجزات والدلائل ليست خاصة به، بل قد أعطى الله غيره من الأنبياء أعظم مما أعطاه، عليهم جميعًا

---

(١) للمزيد من أدلة إثبات هذا الأصل من أسفار العهد الجديد: (متى ٩: ٨، ١٤: ١٩)، (لوقا ١٣: ١٣) (يوحنا ٥: ٣٠، ٣٦، ٣٧) (أعمال ٢: ٢٢).

(٢) عن: المسيحية، ص١٠٤.

صلوات ربي وسلامه[1]، وبيان ذلك:

أ ـ الميلاد العذري (من دون أب):

فخلْقُ آدم أبي البشر عليه السلام أعظم من ولادة المسيح عليه السلام، فقد خُلِقَ بلا أب ولا أم، ولم يخرج من بين نجو وطمث، وأسجد الله له ملائكته، كذلك ملكي صادق ـ المزعوم ـ فقد خلق بلا أب ولا أم ـ على رواية الكتاب المقدس وقد بينا زيفها ـ (عبرانيين ٧: ١ ـ ٣)، وسائر الملائكة خلقوا بلا أم ولا أب، بل حتى إبليس نفسه! فهل يستحق هؤلاء أن يكونوا آلهة؟! ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

---

(١) وانظر: (محمد رسول الله ﷺ) ضمن هذه السلسلة، وفيها بيان أن معجزات نبي الله محمد ﷺ ودلائل نبوته بمشيئة الله تعالى، وأنها تفوق جنسًا وعددًا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام.

ب ـ إحياء الموتى:

وهـي أعظـم معجـزات المـسيح ابـن مـريم الحـسية عـلى الإطلاق، وهي دالّة على عظمة الله تعالى وقدرته وتصديقه بها للذي أرسله وأجراها على يديه، ولنا حيالها وقفات:

الأولى: من التحريف المعنوي لشراح الكتاب المقدس من القسس واللاهوتيين الاجتزاء المتعمد؛ وذلك بأخذ ما يوافق الهوى والغرض مع ترك ما ينافيه ويضاده ولو كان متصلًا به أو منفصلًا. ومن ذلك استشهاد القسس في مواعظهم في الكنيسة على ألوهية المسيح وتزييفهم على العامة من الأتباع بنص إنجيل يوحنا «كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضًا يحيي ما يشاء» (يوحنا ٥: ٢١ـ٢٧) ثم يبتر الكلام ويبحر في إنشائه وتخريفه بتحريفه، ولو أنه كان صادقًا ناصحًا لأكمل آيات الإنجيل ففيها القيد الموضح للمعنى المراد: «... أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا... لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يوحنا ٥: ٣٠)، ولاحظ أنها في سياق واحد ومعنى مترابط ولكنه

الهوى ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩][1]، إذن فمشيئة المسيح عليه السلام وإرادته ليست له استقلالًا بل هي تابعة وخاضعة لمشيئة رب العالمين الإله الحق سبحانه وبحمده.

الثانية: هل تقول الكنيسة بألوهية كل من ثبت عندها إحياؤه للموتى كالنبي إيليا (إلياس) الذي أحيا ابن الأرملة؟! «فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى

---

(١) وهذا لا يعني إقرارنا بسلامة آية يوحنا وأنها من عند الله، لكن المعنى المحدّد فيها بأن القادر هو الله حق لا مرية فيه، وقد فضح القرآن الكريم أخلاق الفاسدين من رجال الدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

جوفه فعاش» (الملوك (١) ١٧: ١٩ـ ٢٤)، كذلك أليشع (اليسع) الذي أحيا ميتين، الأول منهما أحياه في حال حياته (الملوك (٢) ٤: ٣٢ـ ٣٦)، والآخر بعد وفاته! «فطرحوا الرجل في قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام[1] أليشع عاش وقام على رجليه» (الملوك (٢) ١٣: ٢١) فهل إيليا وأليشع إلهان من دون الله؟! ـ تعالى الله..

ثالثًا: ورد في العهد الجديد أن سوى الأنبياء يحييون الموتى كبطرس حين أحيا طابيثا (أعمال ٩: ٣٦ـ ٤١)، بل كل التلاميذ ـ على حسب الكتاب المقدس ـ يقدرون على الإحياء «اشفوا مرضًا طهروا برصًا أقيموا موتى أخرجوا

---

(١) يعتقد المسلمون أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، كما قال ذلك نبيهم أحمد ﷺ: **«فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»** سنن أبي داود وصححه الألباني. وقد وجد المسلمون جسد نبي الله دانيال عليه السلام حينما رأوه ميتًا مسجى على سريره وعند رأسه مصحفه لما فتحوا تستر، وقد أكرموه بدفنه عليه السلام. وانظر: البشارة بنبي الإسلام، د. السقا (٢/ ٤٨ـ ٥٢)، إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٤: ١١٦٦ـ ١١٦٩).

شياطين» (متى ١٠: ٧، ٨)، فهل كل هؤلاء آلهة؟! ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

رابعًا: كيف لم يحيِ المسيح نفسه بعد موته ـ على حسب البيبل ـ فقد بلغت النصوص خمسة عشر التي تنص على أن الله أقامه ولم يقل واحد منها أنه أقام نفسه من الأموات! (أعمال ٢: ٣٢، ٣: ١٥، ٤: ١٠) كما قال الله عز وجل في محكم التنزيل القرآني: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦] مع أن المسيح في الحقيقة لم يمت بل شُبّه ذلك لأعدائه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

خامسًا: أليس أعجب من إحياء المسيح عليه السلام للأموات بعث الحياة في الجمادات كعصا موسى عليه السلام، فأيهما أولى بالعبادة؟! ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

ويلحق بمعجزة إحياء الموتى شفاء المرضى، وانظر في ذلك شفاء أليشع أبرصًا وأمراضًا أخرى، بل ذهب لأبعد من ذلك فشفى معه ذريته إلى الأبد! (الملوك (٢) ٥: ١٠ـ٢٧)، وصدق أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام حين قال فيما ذكره الله عنه في محكم التنزيل مثنيًا على ربه وإلهه الواحد: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ـ٨٢].

جـ ـ معجزة التنبؤ بالغيب:

كإخبار المسيح عليه السلام التلميذين الذين أرسلهما لذبح فصح العيد بما سيكون لهما (مرقس ١٤: ١٢ـ١٦)، وإخباره عن الجحش المربوط في قرية بيت فاجي (يوحنا ٢١: ١٧).

والجواب: أن هذه النبوءات إنما هي برهان من ربه على صدق رسالته وبلاغِهِ، لا على ألوهيته وربوبيته، وهذا البرهان قد أعطاه الله تعالى لغيره من الأنبياء، فقد تنبأ قبله يعقوب عليه السلام «اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام» (تكوين

٤٩: ١ـ ٢٧)، كذلك صموئيل وإيليا (صموئيل (٢) ١٠: ٩ـ٢) (الملوك (١) ٢١: ٢١ـ ٢٤)، وقد تحققت نبوءتيهما كما في (الملوك (٢) ١٠: ١ـ ١٧، ٩: ٣٠ـ ٣٧)، ومثل هذا في بقية الأسفار[1]. إذن فلا تفرد للمسيح بهذه المعجزة المدهشة.

بل حتى بلعام المتنبئ الكافر الذي قتله موسى عليه السلام ـ على ذمة العهد القديم ـ يعلم الغيب «الذي يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلي الذي يرى رؤية القدير[2]» (عدد

---

(١) انظرها: (صموئيل (٢) ١٩: ٢٣، ٢٤) (الملوك (٢) ٤: ٨ـ ١٨) (يوحنا ١١: ٤٩ـ ٥٢).
أما ما أوتيه النبي الخاتم فلا يكاد يحصر وستجد طرفًا منه في (محمد رسول الله ﷺ) للمؤلف.

(٢) وهذا باطل قطعًا ومجازفة وتجديف، فلا أحد يعرف معرفة العلي ويرى رؤية القدير، إنما يكشف الله تعالى لمن شاء من عباده شيئًا من سدف الغيب لحكمة أرادها، أما أن يعلم علم الله فمحال ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦ـ ٢٨]، وقد ادعى بولس نحوًا من هذا!

٢٤: ١٦) وقد ذكرت الأسفار شيئًا من نبوءاته التي تحققت. إذن فلا دليل على الألوهية بذلك، بل لا دليل فيها على النبوة ما لم تصاحبها دعوى النبوة، فقد يفتن الله بعض الكهنة والمشعوذين فيسهل لهم شيئًا من ذلك عن طريق الجن فتنة للناس.

د ـ التسلط على الشياطين بإخراجهم من البشر:

كما في (متى ١٢: ٢٧، ٢٨)، والجواب: أنها ليست بمعجزة أصلًا، فكثير من الناس يفعلون ذلك إلى يومنا هذا، وقد يعطيهم الله شيئًا من التسلط على الشياطين كما يعطيهم مثلها على البشر، واليهود عندهم قدرة على ذلك كما ذكره عنهم المسيح على رواية متى «إن كنت أخرج الشياطين ببعلزبول فأبناؤكم بمن يخرجونهم» (متى ١٢: ٢٧)، كما حذر المسيح عليه السلام من الكذبة الذين سينجحون في إخراج الشياطين (متى ٧: ٢٢، ٢٣).

هـ ـ معجزات متنوعة:

كتحويله الماء إلى خمر[1] (يوحنا ٢: ٧ـ ٩)، وإطعام الجمع الكثير من خمسة أرغفة وسمكتين (متى ١٤: ١٩ـ ٢١)، وتيبس شجرة التين بأمره لها (متى ٢١: ١٨، ١٩)، والظلمة العظيمة عند موته ــ المزعوم المفترى ــ (متى ٢٧: ٤٥)، وطاعة الريح والبحر له (متى ٨: ٢٣ـ٢٨)، وصومه أربعين يومًا بلا جوع (متى ٤: ١ـ ٢)[2]، وجلوسه على يمين الله بعد ارتفاعه إلى السماء (مرقس ١٦: ١٩).

والجواب هنا مثل الجواب الذي قبله فيحتذى فيه حذوه؛ فهذه المعجزات قد ثبتت أمثالها وأعظم منها للأنبياء الآخرين، فموسى حوّل الماء إلى دم بدعوته (خروج ٤: ٩)، وأليشع (اليسع)[3] ملأ القدور الفارغة زيتًا من غير أن يكون

(١) وحاشا نبي الله الكريم أن يسقي الناس أم الخبائث فكل الشرائع متفقة على حرمتها وخبثها.

(٢) وبعد الأربعين يومًا «جاع أخيرًا» (متى ٤: ٤).

(٣) لاحظ القرب الشديد بين العربية والعبرية ــ كما مر ــ ولعل=

فيها شيء، وهذا إيجاد من عدم، وليس مجرد تحويل سائل لسائل، وكلٌّ بقدرة الله وإذنه ومشيئته (الملوك (٢) ٤: ٣ـ ٧)، وببركة موسى عليه السلام أطعم الله بني إسرائيل بأسباطهم الاثني عشر المن والسلوى أربعين سنة، وكانوا زهاء ستمئة ألف (خروج ١٦: ٣٥، ٣٦)، كما حوّل موسى عليه السلام العصا الجامدة إلى حية تسعى بإذن الله تعالى وهذه أبلغ من تيبس الشجرة (خروج ٧: ٩)، وظلمة صلب المسيح ــ المفترى ــ ليست بأعظم من الظلمة الدامسة التي ألقيت على مصر ثلاثة أيام بكفرهم بموسى عليه السلام (خروج ١٠: ٢٢، ٢٣) بل

= للترجمة دورٌ في التحريف، فالأصل في الأسماء أن لا تتغير إلا في حالة عدم وجود حروف منطوقة في اللغة المنقول إليها، فموسى صار (موشى) وداود (ديفيد) ويوسف (جوزيف) ومريم (ماري)، ولكن كل هذا محتمل، لكن أن يحرف الاسم بترجمة معناه دون نقل لفظه كعيسى إلى جيسس فبعيد، إلا إن كان السبب هو طول الدورة المكانية الزمانية اللغوية بين العبرية واليونانية والإنجليزية. وعلى كل فلا زال بينهما شيء من الصلة وأقرب من مسمى جيسس يسوع فهو من الاشتقاق الأوسط.

وأعظم من ذلك إيقاف الشمس والقمر عن المغيب ليلة السبت من أجل أن يتم يشوع بن نون[١] وجنده فتح بيت المقدس «فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب... فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل» (يشوع ١٠: ١٢، ١٣)، بل إن نبي الله إشعيا قد أعاد الله بدعائه الشمس للوراء ليبرهن للملك حزقيا على صدق وعد الرب (الملوك (٢) ٢٠: ١٠، ١١)، وإيليا قد أطاعته النار والماء كذلك (الملوك (٢) ١: ٩-١١، ٢: ٧، ٨)، وموسى عليه السلام صام أربعين يومًا بدون أكل أو شرب (تثنية ٩: ٩)، كذلك إيليا (الملوك (١) ١٩: ٧، ٨)، أما الجلوس على يمين الرب فقد حصل ــ حسب رواية الكتاب المقدس ــ لإيليا (الملوك (٢) ٢: ١١، ١٢)، كذلك لأخنوخ (تكوين ٥: ٢٤).

---

(١) هو نبي الله يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام المذكور في سورة الكهف، وأصل إيقاف الشمس له ثابت في السنة المطهرة بدون تحديدها بنحو يوم كامل.

وبعد فهل ادّعى أحد ألوهية هؤلاء السادة؟! ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

❁❁❁❁❁

الفصل الثاني

حقيقة المسيح ابن مريم عليه السلام

بعد هذا التطياف مع متعلقاتهم وكشف الشبه التي هي أوهى من بيت العنكبوت فسنقيم بين عينيك أيها القارئ الكريم نصوصًا من الكتاب المقدس وقواطع عقلية وضرورات فطرية تنقض عرى هذه العقيدة الزائفة المؤلهة لغير الإله الحق تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

لقد رأى المحققون أن الأحوال البشرية للمسيح عليه السلام طوال حياته تمنع القول بأن المسيح هو الله(١)، أو أنه ابن الله، إذ لا يليق ولا ينبغي للإله أن يولد ويأكل ويشرب وينام

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق» وقال عمر رضي الله عنه: «إنما تنفض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية». درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٥٩).

ويبكي ويختتن ويضرب ويجوع... ثم يموت! وكأنما عناهم فولتير بقوله: «أكثر التاريخ خرافة متواضع عليها» فالأساس اللاهوتي للكنيسة محض خرافة وثنية!

ولا يشفع للمؤلهة والمثلثة احتجاجهم بأن هذه الأفعال الغريزية والبشرية قد صدرت من الناسوت لا اللاهوت لأنهم يقولون: إن جسد الإله في المسيح عليه السلام كان كالجبّة أو العمامة التي يلبسها المسيح أحيانًا وينزعها أحيانًا أخرى، فما صدر عنه فإنما صدر من الإله المتجسد ـ بزعمهم ـ وإلا لزمهم الاعتراف ببشريته الصرفة وإنسانيته البحتة وهو الحق الذي لا مرية فيه ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢][1].

قال البابا كيرلس الملقّب عمود الدين: «إننا لا نجيز الفصل بين الطبيعتين[2] ونعلم فقط بالتمييز بينهما تمييزًا

(١) انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، د. السقار، ص١٠٧.
(٢) وهذه القضية هي الشرخ الكبير الذي فصل الكنيستين الشرقية والغربية فصلًا لا لقاء بعده.

ذهنيًا»(١).

إذن فبسبب الغموض الشديد بل والحيرة التي يستحيل الانفكاك منها عن هذا التصور الثالوثي المتصل أو المنفصل لم يستطع أحد أن يشفي غليل سائل من أهل ملته يحاول تلمس النور الصافي والصوت الهادي في تصوره لإلهه الحق الذي يصرف العبادة له ويتوجه بقلبه إليه(٢)، لذلك تكون

---

(١) موسوعة الأنبا جريجوريس، اللاهوت المقارن، ص١٩٣، نقلًا عن السابق ص١٠٨.

(٢) قال الباحث الفرنسي ليون روشي: «لقد كان شعوري الفطري بوحدانية الإله يمنع علي قبول مبدأ (ثالث ثلاثة) أو الإيمان بقدرة البشر على مغفرة الذنوب، كما كنت لا أصدق مطلقًا مسألة الخبز المقدس الذي يمثل جسد المسيح عليه السلام، وبعد أن قرأت القرآن الكريم بعقلية من يحمل أحدث الأبحاث العلمية؛ كان ذلك كافيًا لإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين وهو شهادة أن محمدًا رسول الله». موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي (٨/ ٨٩).

وقال البروفسور تشكنتنادا هيابا أستاذ التاريخ بجامعة ميسوري: «لقد بنيت اختياري للإسلام على ثلاثة أمور؛ أولًا: صحة أخباره، ثانيًا: موافقته للعقل، ثالثًا: أنه دين عملي لا خيالي، فلا يوجد في =

الأجوبة أكثر حيرة والجواب أشد غموضًا من السؤال ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] فتارة يكون الجواب بتمنطق فلسفي عقيم، وأخرى بديماغوجيا مضحكة(١) وتارة بطلاسم كهنوتية، وتارة بالأمر بالتسليم المطلق بالثالوث الأقدس! وإلغاء التفكير والتأمل والتوقف عن محاولة الفهم، وهذا الأخير هو المختار عند أكثرهم لسهولته أو لعجزهم عن غيره، وضاع الحق وهلك الخلق إلا من عصم الله

= الإسلام ثلاثة في واحد، ولا ثلاثون مليونًا من الآلهة» آفاق جديدة للدعوة، أنور الجندي، ص١٤٩.

(١) الديماغوجيا هي الحيدة عن الجواب بتضخيم جوانب أخرى هامشية هربًا من عمق السؤال إلى فضاءات حرة ليس لها علاقة مباشرة به، فإذا سئل رجل الدين المسيحي عن حقيقة الثالوث وكيف يكون توحيدًا في تشريك؟! يجيبه القس أو الكاهن بأن يذكر معجزات المسيح أو ضرورة الإيمان بالمخلص أو قرب الدينونة وهكذا، بدون أن يشفي غليل سائله عن التصوّر المرتضى للثالوث الأقدس المزعوم!

تعالى[1] ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

ولتقريب المعنى أقول: لو كان بين يديك قلم فعلى المفهوم الكنسي لمفهوم اللاهوت والناسوت بقوليه ومدرستيه (الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين)[2]، فإن هذا القلم

---

(١) وعند الإصرار على طرح هذه الأسئلة الكبرى وترك التسليم المطلق بما كان متعارضًا مع بدهيات العقل وأصول المنطق فإن الجزاء ــ سابقًا ــ يكون بالحرمان الكنسي وإخراجه صاغرًا من مملكة الرب الكنسية!

(٢) عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية المصرية «المرقسية» هي وحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت فهو هو، والمسيح هو الله بذاته! ــ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ــ فيعتقدون أن الله قد نزل من علياء مجده، واتخذ جسدًا حقيقيًّا هو المسيح ابن مريم! لذا فهذا المذهب هو أخبث مذاهبهم وأشدها كفرًا وعتوًّا، قال الله تبارك وتعالى وتقدس وجل وعز: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا =

= يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٧]، ثم قال بعد خمس وخمسين آية مكررًا الوعيد والتشنيع على الأفاكين: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢]، ثم زجر القائلين بالطبيعتين والمشيئتين من الطوائف الأخرى وكل المؤلهة للمسيح أو الروح القدس: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ثم دعاهم للتوبة النصوح وفتح باب الغفران لمن رجع منهم وأناب فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ثم بيّن حقيقة المسيح ابن مريم عليه وعلى أمه السلام: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، وفي هذا إشارة بديعة لبشريتهما يلحظه مباشرة كُلّ ذي عقل لماح، ثم أرشد إلى إطلاق العقل من ربقة التقليد والجهل وكسر قيد التفكير إلى متعة التأمل وسلامة التفكر والتدبر ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق وهو كالشمس في رائعة النهار قد غطى الأفق نورًا وإشراقًا، =

يصح ويجوز أن يكون حارًّا وباردًا في نفس الوقت، كذلك لا

= ثم أحال بعد الدليل الحسي الشرعي على الدليلين العقلي والفطري ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ثم بعد إقامة كل هذه البراهين الملحة على كل ذي نهى ولب ختم بنهي أهل الكتاب عن الغلو وأنه باب الضلال، ونهاهم عن التقليد في دينهم بدون عقل ولا فكر ولا تدبر، وعائبًا عليهم تقليد أسلافهم الضُّلّال ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٧]، فذكر الضلال في هذه الآية ثلاث مرات تنبيهًا لهم وتقريعًا ليقدحوا عقولهم بالفكر الحر الصحيح المستنير بنور الوحي الحق لا وحي الشياطين من الإنس والجن، فإن لم يصلوا بالتأمل السليم إلى الطريق المستقيم فهم في ضلالهم يعمهون.

كما أكد سبحانه وتعالى وبيّن ضلال المثلثة بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

يمنع أن يكون متحركًا أو ساكنًا في نفس اللحظة أو أسود وأبيض ومادته سائلة جامدة في ذات الوقت! وهكذا.

قال ديورانت: «لقد كان بولنجبرك والملتفون حوله يقولون في مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق! وجهر فلني بهذا الشك نفسه في كتابه (ضرائب الإمبراطورية) الذي نشره عام ١٧٩١، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلاند العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالًا تافهًا في السياسة أو الحرب، بل سأله: هل يؤمن بتاريخية المسيح؟!»[١].

إنَّ ترك الناس في هذه الحيرة وعدم شفاء أسئلتهم وإرواء

---

(١) قصة الحضارة (١١/٢٠٢) ثم قال ديورانت بعد عدة أسطر من التحليل: وهكذا بدا أن الجدال الذي دام مئتي عام سينتهي إلى إفناء شخصية المسيح إفناءً تامًّا.
قلت: والمسلمون في غنى عن ذلك الجدل لثبوت أخباره في وحيهم المحفوظ. والمقصود بيان الحيرة لدى أولئك بسبب تهوكات الكنيسة وجهلها.

ظمأ فكرهم وعدم القدرة على كشف الحقيقة ـ المعدومة في عقيدة الثالوث، لأنها جمع بين المتناقضات ـ قد دعى الكثير من أبناء الكنيسة للهروب من واقعها المضطرب الخيالي إلى أشياء أخرى كرفض الدين جملة (الإلحاد) أو التردد في حيرته وكبت تساؤلاته، واعتناق مذهب الشكوكية ككثير من الفلاسفة أو البحث عن إجاباته عند ديانات أخرى، وقد سعد من بحث عن إجاباته عند المسلمين، فعندهم وحدهم الإجابة الشافية لكل سؤال عقدي مهما دق، فبين أيديهم كتاب الله المحفوظ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ولا تتعارض معتقداتهم مع العقل الصحيح والمنطق السليم البتة. فيا أهل الحِجَى هلمُّوا.

إن عشرات النصوص الإنجيلية تتحدث عن ضعف المسيح وبشريته[1]، وهي على ضروب أربعة:

---

(١) السابق، ص١٠٩ بتصرف.

١. نصوص تثبت عجزه وضعفه البشري:

كجهله بموعد قيام الساعة[1] (مرقس ١٣: ٣٢)، ومكان لعازر (يوحنا ١١: ٣٣، ٣٤)، والتاريخ المرضي للصبي (مرقس ٩: ٢١)[2].

وكان يتبرأ من مشيئته افتقارًا لربه تعالى (يوحنا ٥: ٤٣، ٨: ٢٨، ٥: ١٩) (متى ٢: ٢٠-٢٢)، بل كان المسيح عليه السلام موصوفًا بالعبودية التامة لله الحق «هو ذا عبدي» (متى ١٢:

(١) وهذه إحدى الغيوب الخمس التي استأثر الله سبحانه بعلمها المطلق كما في الآية الرابعة والثلاثين من سورة لقمان.

(٢) لما كان الطب في مرتبة عالية في عصر المسيح عليه السلام كانت معجزته من جنس ما اشتهروا به، فأتى بما حيّر الأطباء وأعجزهم، كما كان الفراعنة في عهد موسى عليه السلام يشتغلون بالسحر ويُعنون به فأتت بعض معجزاته الكبرى ناقضة لسحرهم كالعصا التي انقلبت حية ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨]، ولما كان العرب هم أساطين الفصاحة ودهاقين البلاغة صار جزءًا من معجزة محمد ﷺ فصاحة القرآن الكريم وبلاغته التي أخذت بمجامع قلوبهم وأدهشت وأخضعت معاقد ألبابهم.

١٨)، «قد مجّد عبده يسوع» (أعمال ٣: ١٣، ١٤)، «فإليكم أولًا أرسل عبده» «عبدك القديس يسوع» (أعمال ٣: ٢٦، ٤: ٣٠)[1].

٢ـ نصوص تثبت بشريته كسائر البشر:

فقد حملته أمه جنينًا في أحشائها ثم ولدته، وخُتن، وتعلم مع الصبيان، وعُمِّد، وراح وجاء، وجاع وأكل وشرب ونام، وتعب واستراح، واحتاج لحمار يركبه، وبكى وحزن، وتعرض للظلم والشتم، واحتاج إلى مَلَك يقويّه، وتذلل لربه وخضع وصلّى ودعا وجثا على ركبتيه، فمن كان يحكم العالم والإله ـ المزعوم ـ في بطن أمه بين فرث ودم؟! ومن كان يمسك السماوات أن تقع على الأرض والإله ـ المفترى ـ لا

---

(١) وقد استبدلت كلمة «عبد» في بعض التراجم الحديثة بكلمة «فتى» الموهمة للعبودية أو النبوة، وذلك في ترجمة الفانديك المشهورة، بينما استخدم الآباء اليسوعيون كلمة «عبد» وهو كذلك في اللغات العالمية (Servant)، ويتضح تعمد التحريف عند المقارنة بين (متى ١٢: ١٧، ١٨) و(إشعيا ٤٢: ١).

زال صغيرًا يلعب مع الصبية؟! ومن يرزق البهائم والطير والإنس والجن والإله ـ المزعوم ـ نائم أو مشغول؟! ومن كان يقوم بأمر العالم العلوي والسفلي ويرزقهم ويحفظهم والإله ـ المكذوب ـ مصلوب ميت ثم مدفون ثلاثة أيام؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لذلك لم يستطع الأب المشهور ترتليان في القرن الثالث أن يتقبل فكرة موت الإله! فقال جازعًا معترضًا كاشفًا حقيقة الحيرة المختفية تحت خرافات الكنيسة: «لقد مات ابن الله! ذلك شيء غير معقول، لا لشيء إلا لأنه مما لا يقبله العقل، وقد دفن في بيت الموتى، وذلك أمر محقق؛ لأنه مستحيل!»[1].

وتأمل: «وقضى الليل كله في الصلاة» (لوقا ٦: ١٢)،

---

(١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ص٣٤٣.

لمن كان الإله ـ المزعوم ـ يصلي طوال الليل منفردًا ضارعًا، هل كان يصلي لنفسه؟! أم للأب الحالّ فيه؟! وهل تجوز وتصح عبادته وهو في هذا الحال؟! هل نترك عبادة المعبود ونعبد العابد؟!

كما أن الدعاء والتذلل والضراعة والاستغفار هي من أخص أوصاف العبودية، فلا يجوز لأحد أن يجدّف على الله تعالى فينسبها له.

كذلك فقد أخبر المسيح عليه السلام أنه سيدخل الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين وأولياءه المتقين كما في (يوحنا ١٤: ٢، ٣) (متى ٢٦: ٢٩) وهو من ضمنهم قطعًا، وقد قال للص المصلوب: «تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣) ولم يقل: أنعمت عليك بالفردوس؛ لأنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، وهو بشر من البشر وولي من أعظم الأولياء.

ألم يقل عن نفسه: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يوحنا ٨: ٤٠)؟! أفلا نقبل شهادته عليه

السلام على نفسه؟! أم تريدونا أن نردها ونقبل كلام غيره؟! تالله ما هذا بالنَّصَف!

لماذا الإصرار والإلحاح على تأليهه وضرب قوله وقول تلاميذه بعرض الحائط؟ أليس هذا عين المشاقّة له والمحادّة والمضادّة لتعاليمه ووصاياه؟

٣ـ معاصروه وأقاربه وتلاميذه لم يقولوا بألوهيته.

خافت أمه عليه (لوقا ٢: ٤١ـ٤٨)، وتتعجب مما قيل عنه (لوقا ٢: ٣٣)، وذرفت على موته ــ المدّعى ــ الدموع (يوحنا ١٩: ٢٥)، أما كبير حوارييه بطرس فلم يشر في خطبته المهمة ـ التي كان فيها مؤيَّدًا ممتلئًا بالروح القدس!ـ إلى ألوهية معلمه (أعمال ٢: ٢٢)، ورجلين من أصحابه حزنا لخبر وفاته (لوقا ٢٤: ١٩ـ٢١) وكان أقصى ما أمّلاه أن يكون المسيح هو ملك اليهود المنتظر ومخلصهم.

إن غاية ما دار بخلد أصحابه وأهله وأتباعه الحقيقيين ـ لا المزيفين ـ أنه المسيح المنتظر وليس الإله القادر[1].

---

(١) قال الإمام ابن القيم مبينًا حقيقة المسيح المنتظر: «لقد أكمل الله =

= سبحانه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ما أنزله على الأنبياء عليهم السلام من الحق، وبيّنه وأظهره لأمته، وفصّل على لسانه ما أجمله لهم، وشرح ما رمزوا إليه، فجاء الحق وصدق المرسلين، وتمت به النعمة على عباد الله المؤمنين، فأهل الكتاب عندهم عن أنبيائهم حق كثير لا يعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه، فقد أخبر أشعياء في نبوته (١١: ٦، ٢٥، ٦٥) وطابق خبره ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح من خروج الدجال، وقتل المسيح ابن مريم له، وخروج يأجوج ومأجوج في إثره، ومحقهم من الأرض، وإرسال البركة والأمن في الأرض.

فالمسلمون واليهود والنصارى ينتظرون مسيحًا يجيء في آخر الزمان، فمسيح اليهود هو مسيح الضلالة الدجال، فإنه الذي ينتظرونه حقًّا، وهم عسكره وأتبع الناس له، ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم، فيقتل مُنْتَظِرهم، ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف، فإذا نظّف الأرض منهم ومن عباد الصليب حينئذ تنزل البركة والأمن.

ومسيح النصارى لا حقيقة له، فإنه عندهم إله وابن إله، وخالق ومميت ومحيي، فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمّر، المكلّل بالشوك بين اللصوص، مصفعة اليهود، وهو عندهم رب العالمين، وخالق السماوات والأرضين!

ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وكلمته=

= ألقاها إلى مريم العذراء البتول، عيسى ابن مريم، أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عبّاد الصليب، الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود، الذين رموه وأمه بالعظائم.

وقد حَمَّل رسول الله ﷺ من أدركه من أمته السلام، وأمره أن يقرئه إياه منه، وأخبر عن موضع نزوله، وهو المنارة الشرقية بدمشق، واضعًا يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عيانًا بأبصارهم نازلًا من السماء، فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، ويحيي ما أماتوه، وتعود الملل كلها في زمانة ملة واحدة، وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي الإسلام الذي من ابتغى غيره دينًا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

وسوف يعلم اليهود المغضوب عليهم إذا جاء منتظر المسلمين أنه ليس بابن يوسف النجار، ولا هو ولد زانية، ولا كان ساحرًا ممخرقًا، ولا مُكّنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله، بل كانوا أهون على الله من ذلك.

ويعلم الضالون أنه ابن البشر، وأنه عبد الله ورسوله، ليس بإله ولا ابن إله، وأنه بشّر بنبوة محمد أخيه أولًا، وحكم بشريعته ودينه آخرًا، وأنه عدو المغضوب عليهم والضالين، وولي الله ورسوله وأتباعه المؤمنين، وما كان أولياؤه عبدة الصلبان والصور المدهونة=

٤ـ النصوص الشاهدة الناطقة بنبوة المسيح ورسالته:

وهذا مناقض لألوهيته ابتداءً، فالرسول عبد لله تعالى من جملة عباده، بعثه لتعبيد الناس لله وحده.

لقد كان تلاميذ المسيح عليه السلام ينادونه بالمعلم ــ بحسب البيبل ـ وقد أقرهم على ذلك «أنتم تدعوني معلمًا وسيدًا وحسنًا تقولون لأني أنا كذلك» (يوحنا ١٣ : ١٣) (مرقس ١٠ : ٢٠) أفكان من حسن الأدب أن يتركوا نداءه بالألوهية ـ لو كان ـ ويستبدلون النداء بالمعلم؟!

وقد بدأت نبوته وبُعث في سن الثلاثين (لوقا ٣: ٢٣) وثمّ وقتٌ لم ينزل عليه الروح القدس بالوحي فيه (يوحنا ٧: ٣٩).

وقد شهد لربه بالوحدانية ولنفسه بالرسالة: «أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧ :

= في الحيطان، إن أولياؤه إلا الموحدون عبّاد الرحمن، أهل الإسلام والإيمان».

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ٢٥١ـ ٢٥٤ بتصرف.

٣)، «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته» (متى ١٣: ٥٧)، كذلك صرح بالرسالة في (يوحنا ١١: ٤٢، ٨: ٤٠، ٢٠: ٢١، ١٤: ٢٤، ٧: ١٦) «ولا رسول أعظم من مرسله» (يوحنا ١٣: ١٦).

كذلك فدعوته خاصة ببني إسرائيل (متى ١٠: ٦، ١٥: ٢١ـ٢٨) (لوقا ١: ٣٢، ٣٣) والإله لا يكون خاصًّا بأحد دون أحد.

لقد صدق بولس في قوله: «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (تيموثاوس (١) ٢: ٥) أي في زمانه.

وفي دائرة المعارف البريطانية: «لم تصدر عنه ـ أي المسيح ـ أي دعوى تفيد أنه من عنصر إلهي أو من عنصر أعلى من العنصر الإنساني المشترك»[١].

وقال السير آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور): «لا

(١) عن: الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد علي يوسف، ص١٥.

يعتبر عيسى إلهًا أو مخلّصًا؛ إنما هو رسول من الله، خدم في حياته القصيرة في علاج المرضى، وبشر بالحياة الأخرى، وعلم أن الحياة والدنيا ما هي إلا إعداد للملكوت الإلهي بحياة أفضل لكل من عمل صالحًا»(١).

وقد نشر أبو الحرية البرلمانية الحديثة جون لوك في ١٦٩٥م رسالة عنونها بـ (معقولية المسيحية كما تنقلها الأسفار المقدسة) وانتهى فيها إلى أن فقرات الإنجيل كلها لا تطلب من المسيحي إلا أن يؤمن بالله، وبأن المسيح رسول من عند الله(٢).

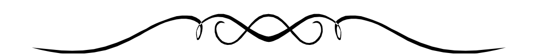
---

(١) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، د. السقار، ص١٢٨.

(٢) قصة الحضارة (٦١/٣٤) وقد ذكر عن أرل شافتسبري (أفلاطون أوروبا المحبوب) الذي قضى نحبه في أمستردام ١٦٨٣م أنه قد ذكر أنه قد استقر مذهب الأرمينيين والتوحيديين من سكرتيره جون لوك. قلت: وكان لوك قد نصر مذهب التوحيديين حتى عدوه منهم، وبعضهم ينازع في كونه لم يتجاوز مذهب الربوبيين وإن كانت كتاباته تؤيد ـ ولو ضمنًا ـ مذهب التوحيديين الذي ألحقوه بكنيستهم. علمًا بأن لوك هو صاحب الكتاب المشهور =

إن المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، وهو من أولي العزم من الرسل، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، قال الله تعالى فيه في محكم التنزيل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وليس مع من قالوا بتدرج ألوهيته من حجة، بل هي شبه متهافتة يكسر بعضها بعضًا، فدعوته واحدة، ونصوصه واحدة يصدق بعضها بعضًا من بدايتها لنهايتها، وكلام تلاميذه فيه لم يتغير، عليه الصلاة والسلام.



= (مقال في العقل الإنساني) الذي نقحه على امتداد عشرين سنة قبل نشره لأول مرة، وكان له دوي هائل لدى مفكري القارة الأوروبية إلى اليوم.



البَابُ الثَّانِي

التثليـــــــــث

وفيه:

الفصل الأول: تعريفه ومحاولة فهمه.

الفصل الثاني: أصول التثليث وثنية.

الفصل الثالث: مناقشة عقيدة التثليث.



صفحة بيضاء

الفصل الأول

تعريفه ومحاولة فهمه

التثليث هو اعتقاد ثلاثة آلهة في ذات واحدة.

وبحسب السياق الزمني لرحلة الشرك والوثنية فتأليه غير الله سابق للتثليث في الأديان الوضعية عامة، وهو كذلك في المسيحية المبدلة، وقد وضع البذور الأولى للتثليث المسيحي الكنسي بولس بادّعائه بنوّة المسيح عليه السلام مما ترتب عليه القول بالطبيعة الثنائية للمسيح ـ اللاهوتية والناسوتية ـ ثم أصّلها وقعدها الفيلسوف الإسكندري القس أثناسيوس وقدمها تحت مسمى قانون الإيمان لمجمع نيقية عام (٣٢٥م) الذي اعترف بها بسلطة الإمبراطور الوثني قسطنطين، ثم اكتملت أركان التثليث في مجمع القسطنطينية عام (٣٨١م) بادعاء ألوهية الروح القدس ـ ردًا على مقالة مكدنيوس ـ وبذلك صار التثليث قانونًا للإيمان في الكنائس المسيحية[1].

---

(١) ويسمى قانون الإيمان النيقاوي. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٠)، المسيحية ص١١٣ـ١١٧.

يعتقد المسيحيون أن الله ثالث ثلاثة ـــ تعالى عن ذلك وتقدس وتنزه ـ وهم أو هو:

١ – الله (الأب ويقال: الآب).٢ـ الله (الابن).٣ـ الله (الروح القدس)

ويزعمون أن هذه الثلاثة الأرباب الآلهة عبارة عن رب واحد وإله واحد! وأن هذه الثلاثة ليست أجزاء لهذا الإله متركب منها! لأن كل واحد من هذه الثلاثة عبارة عن إله متصف بكل صفات الربوبية والألوهية من أزلية وإرادة وقدرة وعلم وكمال مطلق... ونحوها، فكل من هذه الأقانيم الثلاثة إله على حدة، ومع ذلك فالثلاثة إله واحد له ذات واحدة بسيطة غير مركبة!

أما كيف يتحقق ذلك؟! وكيف يُتصور؟! وكيف يُعقل؟! فينخرط القتاد وتنقطع الرقاب دونه، وغرف الماء من الشمس أقرب من ذلك، لأن المحال لا يجمع مع ضده، وواجب الوجود لا يجتمع مع مستحيل الوجود، والجمع بين النقيضين ورفعهما باطل.

قال ديورانت: «كل المحاولات الجريئة التي قام بها كثير من رجال اللاهوت المسيحيين لشرح العقيدة على أساس من العقل أضعفت العقيدة[1] ويقول أنطوني كولتر: لم يكن أحد يشك في وجود الله حتى جاءت محاضرات بويل وأخذت على عاتقها إثبات وجوده»[2] أي وجوده بتصورهم الثالوثي المستحيل في الخارج.

كيف يكون ثلاثة آلهة كلٌّ منهم قائم بذاته، ومتصف بصفات الربوبية والألوهية اتصافًا كاملًا؟![3] ﴿وَلَهُۥ مَن فِي

---

(١) أي عقيدة تأليه المسيح عليه السلام والتثليث.

(٢) قصة الحضارة (٢٩/٣٤).

(٣) قال البروفسور محمد عمارة: «إذا كانت الثلاثة الأب والابن والروح القدس هم واحد لا ثلاثة، مثل حرارة الشمس وضوئها المتحدان بها ـ كما يحلو لهم التمثيل بذلك في تفسير وحدة الثالوث ـ فإن الضوء وحده لا يقوم بوظيفة الشمس، وكذلك الحرارة وحدها لا تقوم بوظيفة الشمس، وإنما لابد من كل مكونات الشمس؛ الضوء والحرارة وغيرها للقيام بوظائف الشمس، ولكن المسيحيين يجعلون المسيح إلهًا كاملًا يقوم بكل وظائف الإله، =

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ

= حتى لقد جعلوه بديلًا للآب (باصطلاحهم) فهو ــ عندهم ــ خالق كل شيء، وبه كان كل شيء، وبدونه لم يكن شيء، وهو الألف والياء... وبذلك سقط تسويق وحدة الثالوث بالقياس على مكونات الشمس. لقد تجاوز التثليث وتعدد الآلهة في الشرك الذي حل فيه المسيح محل الله الأب». تقرير علمي، د. محمد عمارة ص٢٥.

خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٩]، آمل قراءة هذا الوحي القرآني البديع مرة ثانية وثالثة فقد هدم بناء التأليه لغير الله والتثليث من الأساس، فخاطب الفطرة والعقل بلسان الشرع، ووضح الحق وأشهره وكشف الباطل وأزهقه، ورغّب وأرهب، ونطق بالحق التام.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩ـ ٢٤].

كيف تجتمع ثلاثة آلهة في ذات واحدة؟! كل منها إله كامل بجميع صفات الكمال الربوبي الإلهي؟! ومع ذلك فالثلاثة يتكوّن منها إله واحد، وهذا الإله الواحد المركب من ثلاثة، ذاته بسيطة غير مركبة؟![(١)] حدثوا العقلاء بما يعقلون! قال آينشتاين: «إذا لم تستطع أن تشرح فكرتك لطفل عمره ستة أعوام فأنت لم تفهمها بعد!»[(٢)].

قال الفيلسوف القديس أبلار (صاحب هلواز) في نقده للتثليث في كتابه (وحدة الإله والتثليث): «من العبث أن

(١) انظر: النصرانية، د. محمود مزروعة، ص٩١، ٩٢.

(٢) لذا فمن مزايا دين الإسلام بساطته وسهولته ففي جلسة واحدة يفهم المرء أركان الإيمان والإسلام وتنتظم قناعاته وتتسق مع فطرته ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٣٠].

نطق بألفاظ لا يستطيع العقل تتبعها، وإنه لا شيء يمكن تصديقه إلا إذا أمكن فهمه أولًا.

وإن من أسخف الأشياء أن يعظ الإنسان غيره بشيء لا يستطيع هو نفسه أن يفهمه، ولا يستطيع من يسعى لتعليمهم أن يفهموه»[١].

كيف يكون الثلاثة واحدًا والواحد ثلاثة؟! هذا السؤال الذي طرح منذ ثمانية عشر قرنًا من الزمان ولا زال مستمرًا ملحًّا صائحًا في جنبات العقل الحر، منتشرًا في الاتجاهين الزماني والمكاني في المسيحية المبدّلة، ولا زال رائجًا في أوساط رعاياها، داقًّا أبواب الكهنوت والخرافة، ومع ذلك فلم ولن يصل الحيارى إلى جواب شاف وقناعة مريحة، بل ولا أنصاف حلول؛ ذلك أن هذا التصور ـ الذهني ـ ممتنع في الخارج، مستحيل في الحقيقة والواقع، فيستحيل على كل ذي ذوق سليم وفكر متجرد ورأي حر أن يُسلّم بقرب هذا التصور من الحقيقة، فضلًا عن أن يكون هو الحق الذي يدين

(١) قصة الحضارة (٧٦/١٧).

به، ويغامر بآخرته ومصيره من أجله.

ذلك أن التوحيد والشرك لا يجتمعان إلا إذا اجتمع الضدان! والذي ألجأهم إلى هذا المحال والمنافحة عنه مهما امتنعت حقيقته هو أن من أسس وكتب هذه العقيدة «الثالوث الأقدس» أراد أن يجمع وحي الله مع وحي الشيطان، بين ركام هذه التصورات والعقائد الثالوثية الوثنية الهندية والفارسية والمصرية والإغريقية والرومانية وبين ما جاء في العهدين ـ وبخاصة القديم ـ من تعظيم أمر التوحيد والزجر عن التشريك، فلما سُقط في أيديهم خرجوا بهذا التلفيق المضحك المبكي، فالثلاثة للمشركين والواحد للموحدين ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وعند إلحاح رعايا الكنيسة عليها بالإجابة على هذا السؤال: كيف يكون توحيد في تثليث؟ فإنها تسلك أحد سبيلين:

الأول: محاولة شرح هذه العقيدة بأسلوب إنشائي، يعتمد على الالتواءات، والتشبيهات، وضرب الأمثال، والأقيسة، والعبارات الإنشائية التي لا مفهوم لها.

فإن لم تجد هذه الوسيلة نفعًا ولم تقنع بدائه العقل وأوليات المنطق؛ فإنها حينئذ تسلك السبيل الثاني وهو الأكثر شيوعًا لديها.

الثاني: اللجوء إلى التفويض والتسليم المطلق، وأن هذه المسائل هي للاعتقاد والإيمان فقط وليست خاضعة للإدراك، ولا داخلة في مجال الفهم والاستيعاب، وليست من مجالات العقل[١].

خذ مثلًا هذا الشرح لهذه العقيدة المتناقضة:

قال الدكتور يوسف بوست شارحًا لها: «وطبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم[٢] متساوية: الله الآب، الله الابن، الله

(١) السابق، ص٩٢.

(٢) أقانيم جمع أقنوم، وأصله كلمة يونانية تدل على شخصية متميزة، وقد يريد بعضهم به الجزء.

الروح القدس. فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء»[١].

وأي مسيحي يفسر له الثالوث بمثل هذا الكلام فإنه سيزداد حيرة، وستتعاظم لديه الشكوك، وتكثر الأسئلة المتولدة من هذا الشرح ـ غير المبسط ـ!

وقد يشبه بعضهم الأقانيم بالصفات، فيجابَهُ باللازم: أين الصفات الأخرى للإله الحق كالعلم والحياة والقدرة والقيومية والملك والخلق والتدبير والإرادة... فإن فسر هذه الأقانيم بالذوات لزمه القول بتعدد الآلهة! لذلك فلا مفر له من القول بواحد من ثلاثة أمور:

إما القول بأن هذه الأقانيم صفات أو ذوات أو أنها لا حقيقة لها بذلك المفهوم، والأخير هو الصحيح.

وهناك محاولة أخرى يائسة بائسة لشرح هذا التناقض

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص١٦.

الثالوثي، قال زكي شنودة: «وقد فهمنا من كلام السيد المسيح[(١)] أن الأقانيم الثلاثة الذين في الله، وإن اتحدوا جوهرًا وطبعًا وذاتًا وصاروا واحدًا، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية، فالآب ليس هو الابن، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن»[(٢)] وغفل عن لزوم ذلك القول المتهافت وهو أنه يلزم موت الإله على الصليب-على روايتهم المفتراة-فمن أحياه؟! ويلزم من قوله باتحادهم جوهرًا وطبعًا وذاتًا جواز دعوة المسيح بالروح القدس والروح القدس بالله، والله بالمسيح! ولا ينفعه ذلك الاستثناء لأنه خلو من برهان فكأنه لم يكن، وقصاراه أنه كلام جالب للشفقة والرثاء! وكما قيل: «التفكير المشوّش هو الأساس لحياة مشوشة».

---

(١) اعلم أنه لا يوجد في العهد القديم ولا الجديد إشارة إلى التثليث فضلًا عن أن ينص عليه المسيح عليه السلام أو يشير إليه، أو يفهم من كلامه.

(٢) تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ٢٢٤).

لذلك فلا تعجب من القول الآخر الصارخ بالحيرة والاضطراب ـ وإن غلّفه بالعاطفة أو ادعاء الفهم ـ الصادر من الأب بولس إلياس اليسوعي: «ولكننا إذا اطلعنا على كنه الله[١] لا يسعنا إلا القول بالتثليث، فكنه الله محبة، والمحبة هي مصدر سعادة الله[٢]، فليكون الإله سعيدًا كان عليه أن يهب ذاته شخصًا آخر يجد فيه سعادته. ويكون بالتالي صورة ناطقة له، ولهذا ولد الله الابن[٣] منذ الأزل نتيجة لحبه إياه،

---

(١) قال تعالى في محكم التنزيل مثنيًا على نفسه المقدسة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فلا يحيط أحد بالله تعالى، ولا يدركه ببصره ولا بصيرته، وقد تهوك هذا الأب وتهوّر وأساء الأدب مع الله، ولكن ماذا ننتظر ممن زعم له الصاحبة والولد؟!

(٢) ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

(٣) ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ =

وبادل الابن الأب هذه المحبة، وثمرة هذه المحبة المتبادلة كانت الروح القدس، فالله أسرة[(١)] مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة»[(٢)]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا،

= وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

(١) ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(٢) يسوع المسيح، الأب بولس إلياس اليسوعي، ص٧٦، ٧٧ باختصار. وهذا الكاتب المتحذلق خليق بقول ديورانت في فقرته =

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل، ولا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة. ولو صحّ وجوده؛ لبطلت أدلة العقول، ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلًا، فإن استحالة وجوده (أي الثالوث) فوق استحالة جميع المحالات»[(١)].

وأمام هذا الفشل الذريع ـ الطبيعي ـ في التوفيق بين التوحيد والتثليث لم يطق بعضهم السكوت فصرحوا بالضرورة العقلية وهي أن هذه العقيدة مناقضة لبدهيات العقل وبدئيات المنطق السليم، ومن هؤلاء:

= الثانية: «لقد مللنا اللغة التي يستعملها أصحابها لإخفاء الفكر، أو إخفاء انعدامه!».

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ص٣٨٥.

العالم اللاهوتي سان أوغسطين حيث قال: «أنا مؤمن لأن ذلك لا يتفق والعقل». وقال كير كجارد: «إن كل محاولة يراد بها جعل المسيحية ديانة معقولة لابد أن تؤدي إلى القضاء عليها».

وقال القس دي جروت في كتابه (التعاليم الكاثوليكية): «إن الثالوث الأقدس هو لغز بمعنى الكلمة، والعقل لا يستطيع أن يهضم وجود إله مثلث، ولكن هذا ما علمناه الوحي».

وقال القس أنيس شروش: «واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد، سرّ ليس عليكم أن تفهموه، بل عليكم أن تقبلوه»[١].

فإذا ألحّ العقل المتجرد في استقصاء حقيقة التثليث طلبًا للإيضاح وكشف الحيرة؛ أتاه الجواب القامع الحاسم المتكرر: إن ذلك سر لا يستطيع العقل إدراكه! وهذه ماهيّة الأسرار الكنسية، أي إحالة متناقضات عقائد الكنيسة إلى الأسرار المقدسة، فيُغلق عليها في ذلك الصندوق المتحجر

---

(١) عن: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ د. السقار، ص١٧٥.

بطلاسمه الشيطانية.

إن رجال الكنيسة لم ولن يستطيعوا تصوّر الثالوث المقدس! فضلًا عن شرحه وبيانه، وفاقد الشيء لا يعطيه، ويزداد الغبش وتثور التساؤلات ويتكاثف الغبار حينما يلجوا بحر المستحيل، محاولين أخذ قبس من حقيقة لا وجود لها إلا في الممتنع والمعدوم، فالغالب أن من حاول شرح هذه العقيدة فإنه يقع في شرّ مما هرب منه، وينغمس في الحيرة حيث أراد اليقين، خذ مثلًا كلام القس دومولو وهو عالم اللاهوت المشهور في تعليقه على (يوحنا ١٤: ٢٣): «... وإليه نأتي» قال: «حيث يكون الابن يكون هناك بالضرورة أب أيضًا، وكذلك الروح؛ لأن الثلاثة هم واحد، لكونهم صورًا واحدة للوجود والتجلي لنفس الذات الإلهية. توضح هذه القطعة بأن أشخاص الثالوث المقدس لا ينفصلون عن بعضهم البعض[1] ويحل كل واحد منهم في الآخر». ولا

---

(١) أين عقل من اعتقد ذلك وقال به وهو يعتقد أن المسيح قد مات ثلاثة أيام؟! فمن أقام السماوات والأرض ورزق الخلائق حينها؟! =

يخفى من ذلك لازم القول بموت الثلاثة حين مات المسيح على الصليب ــ على قولهم ــ لذلك لا تعجب حين تقرأ في أدبيات القوم ورواياتهم وأشعارهم من يتغنّى بموت الإله، وأن الله قد مات!ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا وتنزه ربنا وتقدس ـ[1].

قال توما الأكويني ــ معلنًا اليأس من القدرة على تصور التثليث الموحِّد ــ: «في استطاعة العقل أن يتصور ماهية الله، ولكنه لا يستطيع أن يدرك تثليث الأقانيم»[2].

= بل من أحيا الآلهة الثلاثة بعد موتهم؟! ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

(١) ينظر: الاختيار، للعلامة أحمد ديدات، ص٩٥. وهذا موقف كثير من الأدباء واحتجوا بقولهم: «بما أن الثلاثة واحد والواحد قد مات فالثلاثة ماتوا» وانظر إلى أدبيات نيتشة وأدباء العصر الروماني أو الكلاسيكي الأوروبي ـ فما أعظم وزر الكنيسة ـ؟!

(٢) سلسلة تراث الإنسانية، مجموعة من الأساتذة، نشر الهيئة العامة للكتاب بمصر، ص٨٧.

والخلاصة أن هذه العقيدة الغريبة ما هي سوى محض تقليد وتعصّب، وكأنما قصدها هنري سيدجويك بقوله: «إننا نعتقد ذلك لأن الآخرين يعتقدون ذلك، أو لأننا نعتقد ذلك، أو لأننا قد أُخبر بذلك، أو نعتقد أننا يلزمنا أن نعتقد ذلك، أو لأننا نعتقد أننا سوف نعتقد ذلك» وتأمل آخر جملة فهي مطابقة لؤلئك البشر مع ذلك المعتقد! فهم يريدون محالًا ويرومون ما لم ولن ولا يكون خارج الذهن المضطرب.

ولقائل أن يقول: أليست الأديان كلها ـ بما فيها الإسلام ـ لا تخلو من مغيبات أو حقائق لا يستطيع العقل إدراكها؟

والجواب: أن هناك فرقٌ بين ما يحكم العقل باستحالته[1] كالتثليث، وبين ما يجيزه العقل ويعجز عن إدراكه والإحاطة به. والإسلام لا يمنع من الأخير ـ كحقائق اليوم الآخر ـ لكنه يخلو تمامًا من الأول، فليس في الإسلام ما يحكم العقل السليم باستحالته أبدًا، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «الوحي

---

(١) كرفع أو جمع النقيضين.

(٢) يرى الأوروبيون أن هيجل هو أبو العلم، وقالوا هو «إله العلم»-=

يأتي بما يحيّر العقول لا بما تمنعه وتحيله»[1].

= تعالى الله عن ذلك ـــ وذلك لأن هيجل نقد الفلسفة الإغريقية ونقض بعض مبادئها وصحّح بعض مسلماتها، مع أن هيجل لم يأت إلا بنحو عشر ما أتى به ابن تيمية في كتابه المدهش الذي لم يكتب في التاريخ الإنساني الفلسفي مثله وهو (درء تعارض العقل والنقل) مطبوع في عشر مجلدات، قال عنه ابن القيم: «وإنه لكتاب لم يطرق العالم له نظيرًا في بابه». كذلك في الشذرات التي خطها في مختصره النفيس (الرد على المنطقيين) ومن مشهور كلامه في ذلك: «المنطق الإغريقي لا يحتاجه الذكي ولا يستفيد منه البليد»، وشبهه بقوله: «لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل» نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى، المجلد التاسع.

(١) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص٢٤٧، العلمانية، د. الحوالي، ص٤١، درء تعارض العقل والنقل، بتمامه ونص عبارته من (درء التعارض): «ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته» (١٤٧/١)، ومعنى محارات: أي ما حارت وعجزت العقول في فهم تفاصيله.

صفحة بيضاء

الفصل الثاني

أصـــول التثليـــث وثنيـــة

لم تكـن عقيـدة التثليـث معروفـة في عـصر الحـواريين «العصر الرسولي» إنما طرأت لاحقًا بعد دخول الوثنيين في المسيحية الجديدة(١).

---

(١) لما لم تجد الكنيسة نصوصًا مقدسة تسعفها في التثليث عمدت إلى التزوير في نصوص الأناجيل، ففي (رسالة يوحنا (١) ٥: ٧، ٨): «إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد» والمحققون من علماء اللاهوت من أمثال كريسباخ وشولز وآدم كلارك بل حتى بعض المتعصبين مثل هورن يرجحون أن عبارة «إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس» مقحمة في النص الأصلي من أجل أن تكون دليلًا وتكأة للكنيسة على التثليث، ومما يؤيد قول هؤلاء أن مارتن لوثر زعيم الإصلاحيين البروتستانت لم يترجم هذه العبارة ــ المزورة ــ إلى الألمانية عند ترجمة العهد الجديد إليها. =

في دائرة المعارف الفرنسية: «إن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخلق، وما كان بطرس حواريه[1] يعتبره أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله» وتستشهد على ذلك بأقوال قدماء مؤرخي المسيحية مثل جوستن ماراستر من القرن الثالث الميلادي إذ يصرّح بأنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتقدونه إنسانًا بحتًا، وأنه كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما دخل في المسيحية عدد من

= إظهار الحق، للعلامة رحمة الله الهندي، ص٢٥٧ـ ٢٦٠، ولا أعلم كتابًا جامعًا في نقد المسيحية المبدلة أفضل منه بعد كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ.

(١) كل ما ذكر عن برنابا وبطرس في رسائل بولس فإنما كان قبل الافتراق، إذ كان لتلاميذ بولس من أمثال لوقا ويوحنا دور كبير في إخفاء تاريخ هذين الحواريين الفريدين بعد خلافهما مع بولس وإنكارهما الشديد على منهجه المحدث. وهذا ما أيدته دائرة المعارف البريطانية من أن قوّة نفوذ أتباع بولس أخفت تاريخ كل من يعارض بولس مثل برنابا وبطرس.

الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل[1].

لقد كانت فكرة التثليث التي أقرها مجمع القسطنطينية عام (٣٨١م) انعكاسًا للأفلاطونية الحديثة التي جلبت معظم أفكارها وأصولها من الديانات والأفكار والعقائد الشرقية القديمة، وكان لأفلوطين (٢٧٠م) أثر بارز على هذا المعتقد المسيحي الجديد، وقد تتلمذ أفلوطين في الإسكندرية - بما فيها من بقايا الفرعونية القديمة ـ ثم انتقل إلى فارس ـ منبع الميثراوية ـ ثم الهند ـ منبع الهندوسية والبوذية ـ وبعد ذلك عاد وفي جعبته مزيج ملوّن من ثقافات شرقية وثنية، فأسس مدرسته في الإسكندرية وبث هذه العقائد بعد أن ألبسها لباس الفلسفة الإغريقية، ثم تلقّفها عنه الفلاسفة المسيحيون الجدد «البولسيون» الذين لم تثبت أقدامهم في تراث المسيح الأصيل ولا تعاليمه الحقيقية، فصهروا تلك الأفكار الأفلاطونية مع غيرها في قالب جديد وسمّوه

(١) نقلًا عن: الموسوعة الميسرة (٢/ ٥٧٩).

الثالوث الأقدس للديانة المسيحية ـ المبدلة ـ[١].

ومن أقوال أفلوطين: «إن العالم في تدبيره وتحركه يخضع لثلاثة أمور:

١ـ المنشئ الأزلي الأول.

٢ـ العقل.

٣ـ الروح التي هي مصدر تتشعب منه الأرواح جميعًا».

وبذلك وضع أفلوطين أساس التثليث وهيأ أرضيته التي أقام عليها تلامذته مقولتهم: إن المنشئ هو الله، والعقل هو الابن، والروح هو الروح القدس. لذلك فلا شك أن عقيدة التثليث متلقفة من الأمم الوثنية وخرافاتها[٢].

---

(١) لقد كان الإمبراطور مثلثًا وثنيًّا ـ التثليث الروماني ـ لذا فلا عجب أن يستخدم سلطانه ونفوذه لتبديل الديانة الوليدة المسيحية التي جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وقد أكد المؤرخ جيبون تدخل قسطنطين المباشر في قرارات مجمع نيقية، وفرض أهوائه بالقوة والسلطان.
اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، جيبون (١/ ٦٢٦، ٦٢٧).

(٢) وانظر: (المسيحية من التوحيد إلى الوثنية) ضمن هذه السلسلة.

فالهنادكة (الهندوس) عندهم ثالوث (براهما ــ فشنو ــ سيفا) وفشنو هذا هو إلههم المخلص الذي يدعونه (كرشنا) الذي قدم نفسه ذبيحة لتخليص بني آدم من وزر الخطيئة الأصلية! ويصر الهندوس على القول بأن إلههم كرشنا قد صلب وثقبت يداه ورجلاه على خشبة الصليب! ووضع على رأسه إكليل الذهب.

ومع أن عقيدة الهندوس في كرشنا أشبه بعقيدة المسيحيين بالمسيح[1]، إلا أن عقيدة البوذيين أشد شبهًا، حتى إنهم يطلقون عليه اسم «المسيح» «المولود الوحيد» «مخلص العالم» وهو يمثل ـ عندهم ـ «تجسد اللاهوت بالناسوت» وهو من «قدم نفسه ذبيحة للعالم ليكفر خطايا البشر ويخلصهم من ذنوبهم حتى يرثوا الملكوت» فهل كل ذلك مصادفة؟!

كذلك عقيدة الفرس والرومان في معبودهم «ميثرا» ووجود الشبه الشديد بين أسطورته الإلهية وبين أسطورة المسيح الإلهية! وهذا ما دعى الرومان الوثنيين أن يدخلوا في

(١) ومعلوم أن اللاحق هو الآخذ من السابق ولا عكس.

هذا الدين البولسي أفواجًا لاتفاقه مع أصول ديانتهم الأولى ـ خلا تغيير المسميات ـ وهل بعث الله المسيح إلا لحرب هذه العقائد وإزالة تلك الوثنيات؟!

وتأمل ـ معي ـ ما كتبه أحد مؤرخي المسيحية المعاصرة ولنتساءل: من اقتبس عقيدته من الآخر؟

قال زكي شنودة: «كان في معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة لفهمهم، فقد كان لكل مدينة هامّة ثالوثٌ من الآلهة تختص بعبادته والولاء له، ومن أمثلة ذلك ثالوث طيبة ويتكوّن من: آمون (الأب)، موت (الأم)، حنسو (الابن)، وثالوث أبيدوس ويتألف من: أوزوريس (الأب)، إيزيس (الأم)، حوريس (الابن)، وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معًا.

كما كان في معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك، كما كانوا يعتقدونه في (حور محب) أنه ابن عذراء.

وكانوا يصورون في يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة

يسمونها (عنخ) وهي قريبة في تكوينها من الصليب الذي اتخذه المسيحيون شعارًا ورمزًا لهم بعد ذلك.

كما كانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس، وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين.

وأخيرًا نجد في قصة الإله أوزوريس واستشهاده ثم انتصاره في النهاية على الشر وجلوسه بعد ذلك في السماء ليحاسب الناس...»[1].

ولا شك أن هذه شهادة شاهد من أهلها، تطلّبت منه شجاعة معنوية وحسية حيث نزع عن طقوس وعقائد المسيحية المبدلة رداءها المزيف وأظهر ما وراءه من إرث فرعوني وثني.

وقال بونويك في كتابه (اعتقاد المصريين): «وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شيء صار بواسطتها وأنها منبثقة من الله وأنها الله»!

---

(١) تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ٢٦، ٢٧) باختصار.

ولسائل أن يسأل: هل ما رأيناه من التشابه بل الاتحاد أحيانًا بين هذه الوثنيات وبين المسيحية يرجعها إلى ديانة واحدة أم متعددة؟ والجواب: إن المسيحية قد حوت كثيرًا مما تفرق في غيرها مما وافق أهواء أساطينها ومنظريها من الفلاسفة وأتباعهم، كما أن الحضارات الوثنية قد أخذ بعضها من بعض.

والخلاصة أن أصول التثليث وثنية بامتياز، وليس لميراث الأنبياء فيه مثقال ذرة. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١١٨-١٢٠].

الفصل الثالث

مناقشة عقيدة التثليث

بما أن هذه العقيدة مستحيلة الوقوع في الخارج إنما هي في وهم الذهن والخيال فقط، وحيث أنها دخيلة على دين المسيح عليه السلام، ومناقضة لكلام الأنبياء فلا شك أنها باطلة كل البطلان[1].

ومن نقوضها الإجمالية:

١ - استحالتها عقلًا ومعنىً ـ وسبق تفصيل ذلك..

٢ - أنها منحولة ومقتبسة من وثنيات سابقة، وأن جذورها ضاربة في أصول عدد من الوثنيات القديمة ـ وسبق التفصيل..

٣- أنها لم تنتشر وتشيع إلا بقوة السلطان، وقمع

---

(١) أوعب من ناقشها باستفاضة ونقضها بتوسع ـ حسب علمي ـ هو الإمام ابن تيمية في كتابه الفريد (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه السلام)، وانظر منه (٣/ ١٨٢ـ ٢٥٢).

الكنيسة، وتحريق المخالفين، واستئصال المعارضين، فليست فكرًا حرًّا قام على أرض القناعة بل بناءًا شُيّد على جماجم المخالفين.

٤- أنها عقيدة طارئة حادثة دخيلة على ديانة المسيح الأصلية الأصيلة، وقد بقيت المسيحية الأولى ما يزيد على قرنين من الزمان خلوًا منها.

٥- لا نسلم بسلامة الأناجيل ــ التي يحاول المثلثة أن يفهموا التثليث من خلالها أو يقيموا عليها عقيدتهم ــ بل قد أثبتنا ـ فيما سبق(١) ـ طروء التحريف والتزوير عليها مع سبق الإصرار والتعمد والتضليل(٢).

---

(١) انظر: «نظرة فاحصة في الكتاب المقدس» ضمن هذه السلسلة.

(٢) لا يوجد بين دفتي الكتاب المقدس إثبات للثالوث إلا في نص واحد فقط: «فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس» (يوحنا ٥: ٧)، وهذه الفقرة لم تضف للإنجيل إلا عام (١٥٢٢م) أي بعد خمسة عشر قرن من دعوة المسيح عليه السلام! وقد أدرجها إيرازمس في طبعته الثالثة للإنجيل بعد الضغط عليه، وكان قد رفض سابقًا إدراجها في الطبعتين الأولى=

٦ـ لو سلمنا بسلامة الأناجيل من التحريف والإدراج، فإنا نرى فيها آيات شاهدة بالوحدانية والفردانية لله تعالى وحده[1].

٧- وهي مليئة كذلك بالنصوص المثبتة لبشرية وإنسانية المسيح عليه السلام، وأنه عبد الله رسوله.

٨- إذا افترضنا ـ جدلًا ـ أن الثالوث حق فكيف لم يُبيَّن هذا الحق ـ المفترى ـ للناس كل هذه الآماد الطويلة والأحقاب السحيقة، ولماذا تركوا يعبدون الله بالوحدانية؟

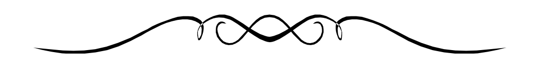
= والثانية بحجة أنه لم يجدها في أي نص يوناني قديم، إنما هي مجرد جملة مقحمة في مخطوطة ترجع إلى القرن العاشر ـ أي بعد ألف سنة من الميلاد ـ ولكن بعد ضغط الكنيسة الكاثوليكية عليه لم يجد بدًا من إدراجها!

وهذه الطبعة الثالثة ـ المحتوية للتزوير ـ هي التي اعتمدت عليها نسخة الملك جيمس الإنجليزي المشهورة، وما بني على باطل فهو باطل.

(١) مثل: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠) وانظر: (لوقا ٤: ٨).

هل ضلّل الإله ـ المثلث ـ كل أولئك الأمم وأنبياءها وشوّه الحقيقة ورضي أن يعبد بدون حق، وترك بيان الحق لفئة لا يعلم عنها تديّن ولا تعظيم له؟! ـ تعالى الله على ذلك علوًا كبيرًا ..

٩- هل كذب كل من سبق المسيح من الرسل عليهم السلام على الله تعالى إذ لم يبينوا ثالوثه؟! ـ حاشاهم عليهم الصلوات والسلام ـ.





الباب الثالث

الخــــــــلاص

وفيه:

الفصل الأول: الخطيئة والتكفير بالفداء.

المبحث الأول: توضيح المراد بها وكيفية نشأتها.

المبحث الثاني: تحليل ومناقشة ونقد عقيدة الخطيئة والتكفير والفداء «الخلاص»

الفصل الثاني: عقيدة الصلب والفداء.

المبحث الأول: توطئة.

المبحث الثاني: نقض عقيدة الصلب والفداء وبراهين زيفها عقلًا ونقلًا.



صفحة بيضاء

الفصل الأول

الخطيئة والتكفير بالفداء

المبحث الأول

توضيح المراد بها وكيفية نشأتها

إن الديانة المسيحية المبدَّلة (البولسية) كلها تقوم على مسألة الصلب والفداء، المبنية على مسألة الخطيئة والتكفير، فعلى الخطيئة الأولى وإليها يقوم الدين المسيحي الجديد، والكنيسة المسيحية تلح على هذه القضية أيما إلحاح، وتجعل مدار الرغبة والرهبة في داخل نطاق هذه القضية فقط، فمن آمن بالفادي المخلص فقد ضمن دخول الملكوت، ومن كذّب به فقد حرم نفسه منه، وتوحي الكنيسة لرعاياها أنهم هالكون لا محالة، وأنهم خُطاة مذنبون ــ من قبل ولادتهم! ــ بسبب انتسابهم لوالديهم آدم وحواء الذين أكلا من شجرة المعرفة[1] فحلت العقوبة بهما وبذريتهما قرونًا متطاولة من

(١) «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها» (تكوين ٢: ١٧)،=

الزمان، حتى افتدى الرب ابنه وبكره ووحيده ــ تعالى الله عن ذلك ـ بأن قتله وصلبه وأهانه على يد أعدائه اليهود.

فكل من آمن بالمسيح مخلّصًا فقد فاز وأفلح ونجا، أما من لم يؤمن بذلك فهو باق على هلاكه الأزلي! ــ في نظر الكنيسة ــ مما يجعل الجاهل يحس بثقلٍ عظيم على كاهله من تلك الخطيئة المتوارثة، ثم بعد أن يفترسه ذلك الشعور الرهيب بالهلاك يفتحون له باب الخلاص عن طريق إيمانه بالمخلص ــ الخيالي ــ فيهرع إلى تلك العقيدة خاشعًا منيبًا، شاكرًا للكنيسة فاتحًا لها قلبه ومحفظته لعله يحظى منها بخلاص ونجاة وحظوة في دار الملكوت!

ولعظم هذه العقيدة في الديانة المسيحية سأطيل النفس فيها قليلًا مستعينًا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد مستمدًّا عونه وهدايته وتوفيقه. وآملًا من القارئ الكريم أن يتأملها

= وقالت لهما الحيّة: «إنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تكوين ٣: ٤) إذن فالمسألة ـ عند الكنيسة ـ مسألة تجهيل للأبوين وحرمانهما من العلم والمعرفة!

ويناقشها بعقله بهدوء وسكينة واستقلال، وكما قال هنري فورد: «يعدّ التفكير أكثر الأعمال مشقّة، وهذا هو السبب المرجح وراء قلة قيامنا به».

إن الدين هو مجموعة من العقائد والشعائر التي يلتزمها من دخل في كنفه، والله سبحانه وتعالى قد جعل العقيدة واحدة ـ وهي التصورات الراسخة في القلب عن أمور معينة وأصول محددة أعظمها الإيمان بالله تعالى ربًّا وإلهًا ـ أما الشريعة ــ وهي الشعائر الظاهرة المعبرة عن الالتزام بأعمال وأقوال معينة على شكل عبادات محددة بوقت ومقدار وكيفية ـ فهذه قد جعل الله تعالى الشرائع السماوية متفاوتة فيها لحِكَمٍ إلهية سامية. إذن فالعقيدة واحدة والشرائع مختلفة[1].

---

(١) قال نبي الله صلوات الله وسلامه عليه: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد وشرائعنا شتى**»، وفي محكم التنزيل في وحدة العقائد: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وفي اختلاف الشرائع: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

إذن فكل شريعة لها شعائرها الخاصة بها ــ وإن اتفقت أصول الشعائر كالدعاء والصلاة والزكاة والصيام والحج للبيت الحرام والكعبة المشرفة، لكنها مختلفة في تفاصيل هذه العبادات ــ وهذه الشريعة السماوية المعينة بعقيدتها وشعائرها هي الوسيلة الموصلة للفلاح ونيل رضا العلي القدير سبحانه.

والديانة المسيحية المبدلة تدعي أنها استمرار للديانة التوراتية، وتزعم أنها هي المكملة لها، وهذا حق لو أنهم لم يحرفوا دين المسيح وشريعته، قال الله تعالى على لسان المسيح مخاطبًا اليهود: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، قال المسيح عليه السلام ـ بشهادة العهد الجديد ـ: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء[١]، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥: ١٧) ولكن الذي حدث أن نظّار المسيحية

(١) الناموس هو التوراة وهي ــ باصطلاحهم ــ الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، أما الأنبياء فهي الكتب الباقية والأسفار المنسوبة لأنبياء آخرين ـ وفي بعضهم وبعضها نقاش ـ.

قد حرفوا التصورات في التوحيد التوراتي، ثم أتبعوه بتغييره في الإنجيل، بأن جعلوا موجب الخلاص والنجاة مخالف كليًّا للأسفار المقدسة الأولى.

وبما أن الخلاص والنجاة في التوراة وملحقاتها يتم عن طريق الإيمان بالله تعالى والعمل بشعائر التوراة والتوبة عند التقصير في ذلك[1]، وكان باب التوبة مفتوحًا في الشريعة التوراتية «ارجعوا إلي واحفظوا وصاياي واعملوا بها» (نحميا ١: ٩)، ورحمة الله تعالى لا تحتاج إلى وسيط[2] «اغسلني كثيرًا من إثمي ومن خطيئتي طهرني» (المزامير ٥١: ١، ٢)، وقد استمر هذا الحال الخلاصي العملي في عهد المسيح عليه السلام «هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لوقا ١٥: ٧) لذا فقد كان الحواريون (التلاميذ) يؤمنون ـ مثل اليهود ـ أن النجاة تكمن في العمل بالشريعة، وأن التوبة تجبر النقصان في العمل وتكمله وتسمح بتصحيحه.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٢٩.

(٢) وكل هذا حق موافق للقرآن الكريم.

قـال الحـواري يعقـوب: «الإيـمان بـدون أعـمال ميـت» (رسالة يعقوب ٢: ٢٠).

وفي دائرة المعارف البريطانية: «لم يكن يؤمن آباء الكنيسة في العصور الأولى بالفكرة التي تقول: إن آلام المسيح كانت وسيلة لتهدئة غضب الله»[١].

وفي دائـرة المعـارف الكاثوليكيـة: «لا تلعـب عقيـدة الكفارة في العهد الجديد دورًا أساسيًّا»[٢].

وبعد عصر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتدع بولس عقيدة الكفارة، حيـث أسـسها عـلى خطيئـة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣]، وهـي الخطيئـة في

---

(١) عن: المسيحية، ص١٣٣.

(٢) السابق، ص١٣٣.

(٣) كما في كلامه! «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم» والظاهر أنه قصد بالإنسان آدم لأمرين: الأول: ذكر الواحد ومعلوم أنه المنهي أصالة عن الأكل من الشجرة وإنما حواء تبع له، والثاني: أن بولس كان متبحرًا في التوراة بحكم يهوديته الأولى، وهذه المسألة كانت مطروحة بقوة في السفر الأول منها ولن تغيب عن ذهنية هذا الحاخام الذي برع في توظيفها حسب فلسفته الهدامة.

ويرى بعض الباحثين أن بولس لم يكن يقصد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تحديدًا وأن =

نظره التي لم يقتصر أثرها على آدم فقط بل شملت جميع ذريته إلى أن كفّرت بصلب يسوع[1]! «المسيح مات من أجل

= أول من صرّح بذلك هو أغسطينوس (ت: ٤٣٠م) وعلى كل حال فيحق لنا القول: إن لم يكن بولس هو من أنشأها فلا شك أنه من بذر بذورها في التربة المسيحية، وأسس قاعدتها في العقائد الكنسية.

(١) أما في الإسلام فآدم قد أخطأ وأذنب بمخالفته لأمر ربه في الأكل من الشجرة ــ بدون تحديد نوعها ــ ويختلف التصور الإسلامي عن التصور الكتابي في أربعة أمور:

الأول: أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، فهذا آدم عليه السلام أبو البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته وخلق له من ضلعه زوجة، مع ذلك فبذنب واحد كاد أن يهلك لولا أنه تاب وأناب، ومع هذا فقد أخرج من الجنة وأهبط إلى الأرض لكنه عائد إليها بعد نجاحه في الامتحان والابتلاء، والتوبة في الإسلام لها مقام عظيم ومكانة سامقة وباب التوبة مفتوح ما لم تغرغر الروح أو تطلع الشمس من المغرب، ولما ذكر الله تعالى شناعات اليهود والنصارى عرض عليهم التوبة والمغفرة والخلاص الحقيقي فقال جل شأنه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤]. =

= **الثاني:** أن آدم عليه السلام عاد بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، قال تعـالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقـرة: ٣٧]، فهـو الـذي هـداه للتوبـة وعلّمـه طريقهـا ووفقـه لـسلوكها ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

الثالث: أن الشجرة ليست شجرة المعرفة للخير والشر فالله تعالى قد علمه أسماء كل شيء ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقـرة: ٣١]، وقد حث الإسلام على التعلم وطلب المعرفة، وهذه قيمة متفقة بين كل الشرائع السماوية وإن زعم كذبة يهود خلاف ذلك.

الرابع: كل إنسان محاسب بعمله ومجزى به ولا يتحمل إلا ذنبه، وهذا موجود في صحف إبراهيم وموسى ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤١]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

خطايانا» (كورنثوس (١) ١٥: ٣)، «جعله الله كفارة بدمه» (رومية ٣: ٢٥)، وبهذا الإجراء الخطير ألغى بولس ـ عمليًا ـ الناموس الموسوي «لو كان الإيمان يحصل بالناموس لكان موت المسيح باطلًا» (غلاطية ٢: ٢١). لذلك فقد تنبه الحواريون لذلك التبديل والنقض، فلما أخذ يلمح لذلك ويهيئ له عن طريق ترك الختان ونحوه قام كبارهم في وجهه وقالوا له: «وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلًا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد...» (أعمال ٢١: ٢٢، ٢٣) فاضطر بولس لمجاراتهم ــ مؤقتًا ــ وأن يعمل بشعائر التوراة على طريقة اليهود في الناموس؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن له كبير قبول بين الناس بل كان مشكوكًا في مسيحيته، لكنه ما إن تمكن حتى أتم مشروعة التدميري بنقض التوراة والإجهاز على شعائرها وأصولها وجعلها مجرد تبرك وتمظهر، وجعل الخلاص إنما يكون عن طريق الإيمان المجرّد بالفداء ـ المزعوم ـ

للمسيح عَلَيهِ السَّلَامُ (١).

---

(١) وكما أفسد اليهود دين المسيحيين ــ الذي هو في حقيقته دينهم المجدد لما هدموه منه ـ فقد حاولوا إفساد دين المسلمين وتبديله، فقد اندس ابن سبأ ــ من يهود اليمن ــ بين المسلمين في العصر الأول للإسلام واستغل بعض الظروف المواتية له من الصراع بين بعض المسلمين، وتظاهر بالدخول في الإسلام ــ كما فعل سلفه بولس في تظاهره بالمسيحية ـ وتسمى باسم إسلامي هو عبد الله ـ كما فعل سلفه بولس فقد كان اسمه في يهوديته شاول ــ ثم أخذ يبث الشبه بين العامة وعمل على تأسيس ديانة جديدة داخل الدين الإسلامي، واستخدم كثيرًا من حيل سلفه بولس فزعم أن الله تعالى قد حل في جسد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويؤثر عنه أنه كان يقول: «لأفسدن دين محمد كما أفسد بولس دين المسيح»، ولكن الله تعالى وفق المسلمين لدحره ونبذه وحربه وإطفاء فتنته ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فقد تكفل الله بحفظ حروف ومعاني القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وقد انطفأت فتنة ذلك الدعي الهالك ابن سبأ، وإن كانت طائفته الأولى (السبئية) قد تولد عها بعض الفرق الضالة المنتسبة زورًا وبهتانًا إلى الإسلام =

ومن الأسباب الداعية لوضع هذه العقيدة المخترعة: أنهم لما قالوا: إن المسيح قد صلب على يد الأعداء، وقعوا في مأزق توراتي، ففي العهد القديم «إن المعلق ملعون من الله» (تثنية ٢١: ٢٣)، ويلزم من هذا حلول اللعنة من ربهم على ربهم؟! فأي دين هذا؟! لذلك حاروا في أمرهم، ولو أنهم لجأوا إلى حقائق التاريخ بأن المسيح لم يصلب، لسلموا من هذا اللازم، ولكن سيترتب على ذلك أمور أخرى لا يريدونها، لذلك فقد استعاروا من الأدبيات المصرية والشرقية فكرة الخلاص بالصلب، وقال كبيرهم بولس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار ملعونًا من أجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة» (غلاطية ٣: ١٣) كذا: «صار ملعونًا»! إذن فقد رضوا بأن يكون المسيح ملعونًا من أجل تبرير هذا الإسفاف البشع، ولا نملك إلا نقول إزاءها: ألا

= والإسلام منها براء، فهي منسلخة عنه، بل لم تدخل فيه أصلًا كالرافضة والباطنية اللتين لا يعدهما المسلمون من أهل قبلتهم ولا من أتباع ملتهم.

لعنة الله على كل من تجرأ على وصم المسيح عليه السلام باللعنة.

وهكذا وجه البولسيون عاطفة جهلة المسيحيين نحو هذه العقيدة الجديدة، فالمسيح -عندهم- قد عانى الألم ودق المسامير في يديه وقدميه وتعرض للشتم والبصق والإهانة والصلب والموت من أجل خلاصهم من اللعنة الإلهية الأبدية!

ثم تطورت هذه الفكرة الغريبة حتى وصلت إلى مرحلة «المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (يوحنا الرسول (١) ٤: ١٠) ثم ثبتوا شواهد لعقيدتهم المحدثة المخترعة في ثنايا الأناجيل المخترع ــ الخالي من المناعة ضد الدس والإدراج ــ «هذا هو دمي الذي أريق لتكفير خطايا الكثيرين» (متى ٢٦: ٢٨).

ثم تطور الحال ومشوا خطوة جديدة فخلطوا بين الرمز والحقيقة «أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء... والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي المبذول من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦: ٥١)[1].

---

(١) كما في خرافتهم «العشاء الرباني».

وبما أن الأسفار المقدسة تحوي نصوصًا منسوبة للأنبياء الكرام تنقض هذه العقيدة البدعية فلم يكن من الصعب عليهم إلغاء كل الأنبياء السابقين وصدقيّتهم ووصاياهم «كل الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص... أنا الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف... وأنا أضع نفسي عن الخراف» (يوحنا ١٠: ٨-١٥)، وبهذا تم قطع الصلة بالرسالات السماوية السابقة[١]، وأضحى الميدان

---

(١) قال الشهرستاني رحمه الله: «والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يتضمن أحكامًا، ولا يستبطن حلالًا ولا حرامًا، ولكنه رموز وأمثال، ومواعظ ومزاجر، وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة، فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى ابن مريم عليه السلام، وادعوا عليه أنه كان مأمورًا بمتابعة موسى عليه السلام وموافقة التوراة فغيّر وبدل وعدّوا من التبديل: تغيير السبت إلى الأحد، وتحليل الخنزير، وإبطال الختان.
قلت: والتبديل إنما هو ممن جاءوا بعد المسيح، والمسيح منه براء... والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا، وإلا فعيسى عليه السلام كان مقررًا لما جاء به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمقدم نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين، وقد أمرهم=

خاليًا لهم ليبنوا في عقول الرعاع ما شاءوا من إملاء الشياطين لهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي دائرة المعارف البريطانية: «صارت نظرية الخلاص أبرز مكان في العقائد المسيحية لدرجة أن معظم المؤمنين يرون أنها أعظم العقائد وأعلاها رتبة، وحتى أهمية عقيدة ألوهية المسيح تكمن في الإيمان القوي بعقيدة الكفارة»(١).

❀❀❀❀❀

= أئمتهم وأنبياؤهم وكتابهم بذلك». الملل والنحل، ص٣٠٩.

(١) المسيحية، ص١٣٧.

المبحث الثاني
تحليل ومناقشة ونقد عقيدة الخطيئة والتكفير والفداء «الخلاص»

لا شك أن هذه العقيدة ـ نظريًّا وعمليًّا ـ متهافتة ومتعارضة مع بدهيات العقل والمنطق والفطرة ومع تعاليم الكتاب المقدس الأساسية، وأنها منحولة من الأمم الوثنية الغابرة، وقد ضمنها المسيحيون بادئ الأمر عقيدتهم دفعًا لتهمة اللعنة التوراتية عن معبودهم المصلوب ـ بزعمهم ـ ثم بعد ذلك خرجوا بها وخرجت بهم من باب التوحيد إلى مرابع الشرك ومراتع الوثنية.

وتقوم هذه الفكرة الغريبة على ستة أسس(١):

الأول: معصية الوالدين (آدم وحواء) عليهما السلام، وما ترتب عليه من لعن ذريتهما والحكم بهلاكهم وهم في صلب أبيهم آدم عليه السلام!

---

(١) يكفي لإسقاط هذه النظرية بيانها وتجريدها لأنها ساقطة لولا ما غُلّفت به من عواطف كنسية لتغرير السذج وخداعهم.

ثانيًـا: لا يمكـن أن يطهـر الإنـسان (ابـن آدم) إلا بفديـة خاصة خارجة عنه، فغيره يكفر عنه ذنب غيره، وهذه ثلاثية غريبة شاذة.

ثالثًا: وهذه الفدية لابد أن تكون إلهية مقدسة ـــ وهو المسيح ـ بحسب دعواهم.

رابعًـا: مـن أجـل هـذه الفديـة فقـد تجـسد اللاهـوت بالناسوت من أجل تحرير جنس الناسوت المؤمنين من أوزار الخطيئة الأزلية الحتمية.

خامـسًا: ثـم بعـد صـلب الإله الإنـساني تـم فـتح بـاب الخلاص للبشرية!

سادسًا: لا يخلص من الذنب إلا من آمن بهذا الخلاص ـ المزعوم..

إذن فكما ترى فعرض هذه العقيدة الأسطورية كاف في إبطالها وإثبات تهافتها، وقد هدمها بييريل بعبارة واحدة حينما قال: «ما دام المخلوق غير موجود فلا يمكن أن يكون شريكًا

في عمل خاطئ»[١] ومن باب زيادة الإيضاح سنقدم بعض التساؤلات المشروعة المنقدحة في عقل كل حر متجرد للعلم مبتغ للحقيقة:

١ – أليس في هذا نفي لعدل ورحمة الله تعالى؟!

فأساس هذه النظرية هو محاولة الجمع بين رحمة الله وعدله، ولكنها قد انتهت إلى العكس! فبدلًا من وصف الإله بالرحيم العادل صار يوصف ـ بهذا التصوّر ـ بالقسوة والظلم!

أما العدل فلم يتحقق لأن ألف باء العدالة تقتضي أن يتحمل كل جان وزر ذنبه ومسؤولية جنايته، فإن أنزل العقاب بغيره صار ظلمًا، كذلك الرحمة المقتضية للعفو عن الجاني لم تتحقق هنا.

بل إن العدل والرحمة لا يمكن الجمع بينهما في جزئية واحدة أصلًا، فالعدل التام هو إيقاع العقوبة بالجاني كاملة غير منقوصة، والرحمة تقتضي تخفيف العقوبة أو رفعها بالكلية، وتمام الحكمة الإلهية في وضع العدل في موضعه والرحمة في

(١) قصة الحضارة (٣٤/٩٢).

موضعها، ولا يسير الكون إلا بهاتين الصفتين، والله تعالى موصوف بالعدل والرحمة، ورحمته تسبق غضبه وعفوه يسبق مؤاخذته، فالحمد كله والثناء الحسن على ربنا الرحيم سبحانه.

إن من خط هذه العقيدة ــ المضللة ــ هي في الحقيقة قد خطّ السب لرب العالمين؛ لأنه يصوره إلهًا جائرًا ظالمًا ساديًّا، يظل يعاقب ذرية فرد آلاف السنين، لأجل خطيئة ارتكبها والدهم دونهم، مع ذلك يحكم عليهم باللعنة والهلاك من قبل خلقهم، ثم تحتدّ هذه السادية بأن يقدم نفسه أو ابنه الوحيد البريء! ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ[١].

---

(١) في الإسلام تطبيق مثالي للعدل الرباني والرحمة الإلهية، فثم أبواب عشرة للمغفرة والرحمة منها: رحمة الله ومغفرته ابتداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ومنها التوبة النصوح، ومنها الأعمال الصالحة الموازنة لذلك الذنب، ومنها المصائب والآلام والهموم المكفرة في الدنيا، ومنها دعاؤه واستغفاره لنفسه أو استغفار المؤمنين له وصلاتهم عليه، ومنها تطهيره بسكرات الموت أو عذاب البرزخ أو النار، ومنها الشفاعة له يوم القيامة =

٢- إذا كان سبب الخلاص هو رحمة الله بالعالم ومحبته لهم، فلماذا يشترط الإيمان بالفداء وملحقاته[(١)] لحصول هذا الخلاص؟! لماذا لا يكون للجميع دام أن السبب هو الرحمة والمحبة؟[(٢)]!

= عند ربه من النبي ﷺ أو الملائكة أو المؤمنين أو الأفراط.
انظر: منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٢٥، ٦/ ٢٠٦-٢٣٩).
وفي الإسلام لا يحمل الإنسان ذنب غيره ولا يأخذ حسنات أحد ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والخلق كلهم ملك لله يفعل بهم ما يشاء، ورحمته خير لهم من أعمالهم، فاتسق بذلك العدل مع الرحمة، فالرحمة سابقة والعدل متوعد، فاستوى بذلك ناموس الكون وعليه قامت السماوات والأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

(١) حتى إن أوغسطين وأتباعه يقولون: «الأولاد الذين يموتون دون تعميد عقابهم الأبدي عدل».

(٢) أما المصدر الموثوق وهو القرآن العظيم ففيه أن الله تعالى قد تاب على آدم وغفر له ولزوجه لتوبتهما المباشرة من ذلك الذنب، وأنهما عادا=

ولك أن تتصور حال الطفل المسيحي وهو يلقّن عقيدة الخطيئة وما يتبعها من غرائب. كتب جيمس يوزويل في مذكراته: «لن أنسى ما حييت ساعات الخوف التعسة التي تحملتها في صباي نتيجة الأفكار الضيقة عن الدين، بينما كان عقلي يخرقه رعب جهنمي».

٣- أليس الله قادرًا؟! بلى وعزة ربنا.

ومهما يكن نوع الخطيئة فالإله الرحيم العدل القادر يستطيع غفرانها بدون ظلم لأحد، ويستطيع العفو عن عباده

= أصلح منها قبله ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وفي الإسلام التوبة تجب ما قبلها، والتوبة النصوح تهدم كل الذنوب ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] بل أبعد من ذلك فالسيئات تبدل حسنات، فلما ذكر أعظم الذنوب وهي الشرك والقتل والزنى، وذكر الوعيد فيها ختم ذلك بقوله الأجل الأعز: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

حتى لو لم يؤدوا الفدية المزعومة.

٤- إن كانت الكفارة هي طريق الخلاص والنجاة، فكيف تتم النجاة للأنبياء وللأمم السابقة؟ أفلا قدم المسيح وافتداه مع نزول آدم؟! وعلى حساب العهد القديم فإن الإله قد انتظر أكثر من أربعة آلاف سنة حتى يبعث ابنه لخلاص البشرية؟ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

٥- إذا كانت هذه العقيدة هي مشيئة الله الأزلية، فلم لم يخبر بها الأنبياء السابقون؟!

٦- ما قولكم في إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى[١] عليهم الصلاة والسلام، هل عمتهم الخطيئة؟! وهل تمت كفارتهم؟! وهل آمنوا بالفداء والمخلص الإلهي؟

٧- ألا يوجد في تاريخ البشرية إنسان بار صالح معصوم

---

(١) قال المسيح عن يوحنا المعمدان على رواية (متى ١١: ١١): «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان»، وتعتبره الأناجيل بارًّا وقديسًا (مرقس ٦: ٢٠) (لوقا ١: ٥، ١٥).

غير المسيح عليه السلام؟! أليست الأناجيل تعتبر هابيل بارًّا صالحًا (متى ٢٣: ٣٥) (يوحنا ٣: ١٢)، وزكريا وزوجه: «كانا صالحين عند الله ملتزمين جميع أحكام الرب ووصاياه» (لوقا ١: ٦)، كذلك دانيال «لم يقترف خطًا ولا ذنبًا» (دانيال ٦: ٥)، ويوشيا وداود «سار في طريق داود أبيه ولم يحد يمينًا ولا شمالًا» (ملوك (٢) ٢٢: ٢) وغير ذلك كثير[1].

٨- هل كان فداء المسيح أمرًا اختياريًّا؟

كيف يقدم نفسه طواعية وهو يحزن ويكتئب منها جدًّا، ويخاف ويصلي ويدعو ربه طالبًا نجاته منها، ثم يلوم ربه على تركه على الخشبة؟! (متى ٢٦: ٣٦-٤٠).

٩- أن ما فعله آدم عليه السلام من الذنب يعتبر يسيرًا بالمقارنة مع أفعال بعض ذريته، من كفرهم بالله تعالى وسبه والاستهزاء به وبدينه وقتل رسله وأوليائه والإفساد في

---

(١) مثل حزقيا «اعتصم بالرب ولم يحد عنه» (ملوك (٢) ١٨: ٦)، ويعقوب «إسرائيل ابني البكر» (خروج ٤: ٢٢) وغيرهما مما ورد في الأسفار.

الأرض.

١٠- هل كان الأنبياء السابقين على ضلال حينما لم يدعو أممهم إلى هذه العقيدة المحدثة، مع أنها طريقة سهلة يسيرة للخلاص لا تتطلب جهدًا ولا عملًا شاقًّا ولا تكاليف وشعائر؟!

١١- أن المسيح ــ بناء على هذه العقيدة الكنسية ــ إله تام، إذن فهو ليس من جنس البشر فكيف يعاقب بدلًا عنهم من ليس منهم؟!

١٢- هل يتصور من فيه مسكة عقل وأدب أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته ينزل من عليائه وعرشه وسمائه ويسمح لأبغض أعدائه إليه ـ قتلة الأنبياء ـ أن يهينوه ويؤلموه ويدموه ويبصقوا عليه ويستهزئوا به ويقتلوه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

١٣- يلزم من تلك العقيدة أن تكون دعوة المسيح في حياته تمثيلًا وخداعًا، لأنه لم يدع إليها ولم يبلغها لأحد!

١٤- يلزم من ذلك أيضًا ــ ولازم الباطل باطل ــ أن اليهود والرومان أقوى من الإله ــ تعالى وتقدس ــ وأن لهم فضل على البشرية بتحقيق خلاصها عن طريق قتل إلهها! فلماذا أنتم على مر التاريخ تطاردون اليهود وتعاقبونهم على عمل فيه خلاصكم؟!

١٥- بما أن المسيح افتدى البشرية بدمه، فمعنى ذلك أنه لا حاجة إلى الإيمان به واعتقاد فدائه، لأن الخطيئة قد ارتفعت عن جميع البشرية بذلك الفداء، وإلا للزم أن يُنزل الله فادٍ آخر ليكفر عنهم وهذا يلزم الدور، والدور ممتنع!

١٦- إن كان الصلب قد وقع على الجسد الذي حمل خطيئة البشر، فيلزم من ذلك فناء الجسد الخاطئ، ولكن قيامة المسيح تنقض ذلك اللازم، وإذا انتقض اللازم الحق انتقض الملزوم.

١٧- أليس الكتاب المقدس ينقض هذه العقيدة؟!

ففي العهد القديم: «لا تموت الآباء لأجل البنين ولا البنين لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيئته» (أخبار الأيام (٢) ٢٥: ٤)، «النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن برّ البار يكون له وشر الشرير يكون عليه» (حزقيال ١٨: ٤، ٢٠)[١]، «لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمرة أعماله» (إرميا ٣١: ٣٠) وغيرها كثير.

١٨- أليست قصة العهد القديم للكفارة الأولى محالة في حق الله تعالى؟!

فتلك القصة زعمت أن الشجرة هي شجرة المعرفة[٢]

---

(١) وشاهد ذلك في القرآن العزيز ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩].

(٢) وفي هذا إيحاء بأن الله تعالى لا يريد المعرفة للإنسان ولا يريده أن يتعلم، وأردفوا ذلك بأن الناس لما أرادوا الكلام بلبل الله ألسنتهم حتى لا يتعلموا ولا يعلموا! أما في القرآن الكريم فإن =

وأن الله تعالى لا يريد المعرفة للإنسان! ثم كيف يعاقب من كان لا يعرف الشر من الخير قبل أكله من تلك الشجرة المعرفية؟! وهل الحيّة أصدق من الله تعالى حينما أخبرهما أنهما سيموتا إن أكلا من الشجرة بينما أخبرتهما الحية الإبليسية أنهما سيعرفان الخير من الشر؟!

١٩- بطلان العقيدة بشهادة المسيحيين.

فمخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب العالمية خلت من الحديث أو حتى الإشارة إلى عقيدة الخطيئة والغفران التي يتحدث عنها آباء الكنيسة، ناهيك عن الكثير من رجال الكنيسة المنكرين لها على مر العصور، ومن أشهرهم الراهبان بيلاجوس وسليتوس وأصحابهما، ومن المنكرين لها كذلك اللاهوتي الشهير يوحنا فم الذهب وكوائيليس شيس صاحب المقولة الشهيرة: «ذنب آدم لا

= إبليس لما سوّل لآدم الأكل من الشجرة زيّن له أنها شجرة الخلد والملك ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢].

يضر إلا آدم»[١].

ولقد أحسن الدكتور نظمي لوقا حين قال: «إن تلك الفكرة القاسية ــ الخطيئة ــ تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منّة عظمى بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقًّا... وإن أنس لا أنسى ما ركبني صغيرًا من الهول والفزع من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت في سياق مروّع يقترن بوصف جهنم جزاءً وفاقًا على خطيئة آدم بإيعاز من حواء، ولا أنسى القلق الذي ساورني على ملايين البشر قبل المسيح أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة؟!»[٢].

٢٠- هل وقع الصلب والفداء على اللاهوت أم الناسوت؟

فإن كان على الناسوت فقد بطل شرط الفداء بأن يكون

---

(١) ينظر: موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ص١٧٤، ٢٥٠، عن: هل افتدانا المسيح، ص١٧٢.

(٢) محمد الرسالة والرسول، د. نظمي لوقا، ص١٤١.

بقدوس بلا عيب أو خطيئة[1]، والعهد القديم يقول: «ليس إنسان لا يخطئ» (ملوك (١) ٨: ٤٦).

أما إن كان على اللاهوت فلا أحد يقول به من المسيحيين، فإن ألحد أحد وفاه بها فسيجابه بهذا السؤال: فمن أحيا الإله الميت[2]؟! سبحانك ربنا وبحمدك.

٢١- أليس المخلص يحتاج إلى من يخلصه من ذنوبه المذكورة في الأسفار ـ وحاشاه ـ؟

ففي (متى ١١: ١٩) يقول فيه اليهود: «فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة والحكمة تبررت من نبيها» كذلك ما ينسب عنه زورًا من فضاضته مع والدته «ما لي ولك يا امرأة» (يوحنا ٢: ٣)، وما ينسبونه عنه بهتانًا من السباب والشتائم كقوله لتلميذيه: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء» (لوقا ٢٤: ٢٥)، وقوله لبطرس ـ وهو من أخص حوارييه ـ:

(١) تفسير إنجيل متى، للأب متى المسكين، ص١٤١.
(٢) البهريز، علاء أبو بكر، ص٤٧.

«اذهب عني يا شيطان» (متى ١٦: ٢٣)، كذلك ما ينسبون إليه مما يترفع عنه آحاد المؤمنين ناهيك عن نبي كريم من أولي العزم من الرسل من شتم الأنبياء وتشبيههم باللصوص «جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص» (يوحنا ١: ٨).

ففي العهد الجديد «ومن قال يا أحمق يكون مستوجبًا نار جهنم» (متى ٥: ٢٢)، «ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله» (كورنثوس (١) ٦: ١٠)، إذن فهذه ذنوب ــ بنص الأسفار ــ تستوجب الخلاص، فكيف منها الخلاص؟!

٢٢- أن المسيح عليه السلام قد صرّح ـــ على لسان إنجيل يوحنا ــ بأن مهمته قد أتمها، وأكمل العمل المنوط به، فلم الحاجة للصلب والفداء والحرج؟! «أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يوحنا ١٧: ٥).

٢٣- إذا كانت قضية الصلب والفداء هي الأساس في الديانة المسيحية فلم لم تشر إليها الأناجيل الثلاثة المتوافقة؟! ولِمَ لَمْ توجد إلا في فقرة واحدة كتبها كاتب إنجيل يوحنا

المجهول؟!

قال فيلسيان شالي: «من الغريب أن هذه الفكرة لا توجد لا في أعـمال الأنبيـاء ولا في الأناشـيد ولا في الأناجيـل، ولا يشير لها يسوع بأية إشارة، والقديس بولس هو الذي يؤكد أن الخطيئة قد دخلت العالم بسبب آدم، ثم إن القديس أوغسطين هو الذي أعطى هذا التصور أهمية من الطراز الأول»[(١)].

لذا فالحق نقول: إن أعظم مهمة جاء المسيح عليه السلام لتحقيقها هي الدعوة لتوحيد الله تعالى، كما قال: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يوحنا ١٧: ٣، ٤)، وشاهد هذا في محكم الفرقان: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢٤- إن كانـت محبـة الله للبـشرية هـي سـبب صـلب

(١) موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ص٢٤٨.

المسيح فداء عن العالمين فماذا عن محبة الله للمسيح الذي ــ بناء على هذا التصور القبيح ــ لم يشفق عليه ولم يرحمه بل سلمه لأشنع قتلة وإهانة؟! فكان كما زعمه بولس: «لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين» (رومية ٨: ٣٢).

قال الدكتور منقذ السقار: «لم يصر النصارى على الحب الممزوج بالدماء؟! وهل أرسل الله خالق الكون العظيم ابنه الوحيد لهذه البشرية التي لا تساوي في مجموعها كوكبًا من الكواكب المتناهية في الصغر لكي يعاني موتًا وحشيًّا قاسيًا على أعواد الصليب، لترضية النقمة الإلهية ــ المزعومة ــ على البشر؟! ولكي يستطيع أن يغفر للبشرية ذنبها على شرط أن تعلق البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي؟! هل هذا ما يريد منا النصارى تصوره؟!»[١].

٢٥- هل لغير الإسرائيليين خلاص؟

ففي متى قال المسيح: «إني لم أرسل إلا إلى خراف بيت

(١) هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د. منقذ السقار، ص١٩٦.

إسرائيل الضالة... ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» (متى ١٥: ٢٥، ٢٦)[١]، كذلك ففي الأسفار أن المسيح قد رفض شفاء المرأة الكنعانية لأنها ليست من شعبه، فهي ليست من الخراف التي أرسل لها، إذن فكيف يقدم روحه فداءً عن البشرية جمعاء؟!

قال عبد الأحد داود: «فها أنا ذا أقول لهؤلاء المسيحيين الذين يبلغ عددهم الملايين، وهم ليسوا من الإسرائيليين: انظروا إن مسيحكم لم يعرفكم قطعًا، ولم يُنقل عنه أنه قال عنكم حرفًا واحدًا، بل إنه قد سمى غير الإسرائيليين كلابًا... أتعلمون ماذا أنتم حسب شريعة موسى؟ إن الذين لم يختتنوا إنما يعدّون ملوثين (نجسًا)... المسيح لم يتعهد للروس والإنجليز والأمريكيين بالنجاة لأنه لم يعرفهم»[٢].

٢٦- أليس القول بالفداء إبطال لكلام المسيح عليه السلام؟

---

(١) مع يقيننا بعصمة المسيح عليه السلام من هذا البذاء والكبر.

(٢) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، ص٨٠، ٨١، عن السابق ص١٩٧.

فقد قال: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا قال له أية الوصايا فقال يسوع لا تقتل لا تزن لا تسرق... » (متى ١٩: ١٦ـ ٢٠)، بل حتى أخص تلاميذه لا ينفعهم الإيمان بدون عمل «إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ٥: ٢٠)، فلئن كان بطرس ويوحنا محجوبين عن الملكوت إلا بعمل صالح يشفع لهما، فماذا عن مصير أولئك الذين تبعوا بولس وأبطلوا الناموس؟[1]!

٢٧- أليست الدينونة[2] تبطل هذه العقيدة الزائفة؟

---

(١) من ذلك قول بولس: «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها» (عبرانيين ٧: ١٨)، «لم أعرف خطيئة إلا بالناموس» (رومية ٧: ٧)، بل قد سمى شريعة موسى لعنة! «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» (غلاطية ٣: ١٣). وقد مرّ.

(٢) الدينونة: هي الجزاء والحساب، فيعتقد المسيحيون أن الذي سيحاسب الناس هو المسيح وتلاميذه وليس رب العالمين! وقد كذبهم الله في القرآن الكريم ففي سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ـ ٤]، وقال جل =

في متى: «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويُطرحون في أتون جهنم» (متى ١٣: ٤١، ٤٢)، «وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن إنسان» (يوحنا ٥: ٢٧)، والغريب أن كثيرًا من البروتستانت يعتقدون بنجاة جميع البشر، إذن فلم يوم الدينونة أصلًا؟!

٢٨- أليست عقيدة الفداء مستنسخة من الوثنيات السابقة؟

بلى، ومن أقدم من قال بها المصريون القدماء والهنود الوثنيون، كذلك بعض البابليين واليونان وغيرهم.

وقد ذكر السير آرثر فندلاي أسماء ستة عشر شخصًا اعتبرتهم أممهم آلهة سعت في فدائهم وخلاصهم، منهم: أوزوريس (مصر ١٧٠٠ق.م)، بعل (بابل ١٢٠٠ ق.م)، أنيس (فرجيا ١١٧٠ ق.م)، ناموس (سوريا ١١٦٠ ق.م)،

= ذكره: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ديوس فيوس (اليونان ١١٠٠ ق.م)، كرشنا (الهند ١٠٠٠ ق.م)، أندرا (التبت ٧٢٥ ق.م)، بوذا (الصين[1] ٥٦٠ ق.م)، بروميثوس (اليونان ٥٤٧ ق.م)، ميثرا[2] (فارس ٤٠٠ ق.م)[3]، ويكفي أن تقارن عقيدة عبّاد بوذا بعقيدة عبّاد المسيح حتى تخلص للتطابق والتماثل، وليس مجرد تشابه أو تقارب!

٢٩- ألم يكتف الإله بصلب ابنه حتى أرسله كذلك إلى جهنم؟!

---

(١) ومنشؤها كان في الهند بعد انسلاخها من الهندوسية ثم انساحت إلى وسط وشرق وجنوب آسيا، وسبق ذكر أن أفلوطين الإسكندري قد اقتبس كثيرًا من عقائدها وعقائد المصريين ثم أضفاها على المسيحية المبدلة.

(٢) يقال ميثرا أو مترا أو متراس، حسب لسان الشعوب التي عبدته ومن آخرهم الرومان، الذين بنوا له معبدًا ضخمًا، ثم أقاموا عليه الفاتيكان بعقائد وطقوس وشعائر لا تبعد عن طقوسهم القديمة الميثراوية.

(٣) السابق ص٢٢٩، عن كتاب فندلاي (صخرة الحق).

«ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن» أي جهنم (بطرس (١) ٣: ١٩).

قال القديس كريستوم (٣٤٧م): «لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا كافر» وهذا المعتقد قد قال به من قبلهم عابدو كرشنا وأدونيس وعطارد وهرقل[1] وغيرهم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

٣٠- الدلائل القاطعة والبراهين الواضحة بنجاة المسيح

---

(١) هرقل وثن إغريقي «هيراكليس» وهو من ضمن الميثولوجيا اليونانية التي خلّدها هوميروس في ملاحمه، وليس هو هرقل ملك الرومان حين بعثة الرسول ﷺ.

عليه السلام من الصلب ـ كما في المبحث التالي ـ[1].

❁❁❁❁❁❁

(١) لقد بيّن الله تعالى حال أتباع الديانات الثلاث بقوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٥-٩]، وقد وعد الله الطائفة التي نصرت المسيح عليه السلام بالغلبة والظهور على غيرها وهم الموحدون الأوائل من المسيحيين في القرون الثلاثة الأول للميلاد، ثم من بعدهم الطائفة الظاهرة التي نصرت المسيح عليه السلام بنصر دعوته وإعلاء دينه ورفع ذكره والذب عنه وهم أمة محمد ﷺ فلم ولن يظهر دين كدينهم لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له.

صفحة بيضاء

الفَصْلُ الثَّانِي

عقيدة الصلب والفداء

المبحث الأول

توطئة

قبل الولوج لتفاصيل هذا المبحث ثمة أمر يحسن بيانه حتى يكون منطلقًا لفرز تفاصيل القضية الشائكة ورد الفروع إلى أصولها حتى نخرج بحكم منصف.

الكثير يعتقدون أن أمرًا ما قد حصل وهو الصلب، وهناك من ينكر هذه الواقعة جملة وتفصيلًا، ولكن على القول بأن رجلًا قد صلب، فيكون السؤال: من هو المصلوب؟ وهل مات بعد أن علّق على خشبة الصليب؟ هنا تحرير الخلاف وفصل النزاع.

فالكنائس العالمية ومعها كثير ممن يعتقدون بشرية المسيح ـــ الموحدون المسيحيون ـــ ومعهم اليهود على أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد صلب ومات على الصليب.

والمخالفون لهم وبخاصة المسلمون، ينفون صلب المسيح عليه السلام على فرضية وجود الصليب أصلًا، فالقرآن الكريم ينفي صلب المسيح ولم ينف صلب غيره ـ فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥٧] فالمسيح لم يصلب[١] ولكن ربما ألقيت صورته على غيره أو غير ذلك مما اختلفوا فيه وشبّه لهم حاله أو شخصه، أما المسيح نفسه فقد رفع إلى السماء على الوعد بالنزول في آخر الزمان. ويوافقهم على هذا طوائف كثيرة من الموحدين المسيحيين.

فالفريق الأول يرى موت المسيح عليه السلام على الصليب والثاني يرى عدم ذلك، وكلا الفريقين جازم خبره، خلا

(١) فعلى تفسير الصلب بأنه الموت على الصليب فهذا ممتنع تمامًا على المسيح عليه السلام بنص القرآن الكريم، أما على القول بأن الصلب هو مطلق التعليق على الخشبة ـ أي بدون موت ـ فهذا غير ممتنع ـ وإن كنت لا أميل إليه ولا أحبذه ـ وإن قال به بعض الباحثين ولهم استدلالات جديرة بالتأمل والنظر، ومنهم الدكتور محمد نادر عفيفي في كتابه: مسيحيون أم بولسيون.

بعض التردد في الفريق الأول الذي يريد تقبل فكرة الصلب لموافقة الهوى دون تمعن في الأدلة المتنوعة.

وبما أن الله تعالى لم يفصل لنا في محكم القرآن كيفية نجاة المسيح واكتفى بإخبارنا برفعه إليه، أما سوى ذلك من تفاصيل كيد اليهود له حتى ساعة رفعه فلم يذكرها، وعلى ذلك فيسعنا التوقف والاطمئنان إلى هذا الحد، فالذي يهمنا هو تقرير بطلان الصلب للمسيح عليه السلام.

ولكن إن أصر المخالفون فلا بأس أن نحاول أن نضيء لهم بعض الدروب، ونقدح لهم بعض الحقائق العلمية، والقواطع العقلية، والبراهين التاريخية، فإجمالًا نقول: لعل القضية ــ الصلب ــ لم تقع أصلًا، وإن وقعت فالمصلوب ليس المسيح عليه السلام، والأشبه أنه يهوذا الإسخريوطي سواء باختياره لـمّا وعده المسيح بالجنة إن هو قبل إلقاء شبهه عليه وفداءه بنفسه ـ على رواية إنجيل يهوذا ــ أو ندمًا على خيانته، أو كانت بغير اختياره بل بمكر من الله تعالى عقوبة له على الخيانة فألقى شبه المسيح عليه ـ على رواية إنجيل برنابا ــ أما

بقية الأناجيل فاكتفت بذكر خيانته فحسب، وقد يكون الملقى عليه الشبه هو سمعان القيرواني - حامل الصليب - أو غيرهما، وقد يكون المصلوب - إن كان ثمة صلب - لم يُلْق عليه الشبه أصلًا - فالآية لم تصرح بذلك - وعلى ذلك فإن اليهود لما أسقط في أيديهم ولم يجدوا المسيح عليه السلام صلبوا غيره زاعمين أنه المسيح، وهناك احتمال ذكره بعضهم وهو أن المسيح قد رفع على الخشبة لكنه لم يمت، بل أنزلوه بعد ثلاث ساعات مغمى عليه، ثم حمله صاحبه يوسف وذهب به حيًّا فعاش حتى رُفع... إلى غير تلك الاحتمالات.

وعلى كلٍّ فالمسيح لم يمت على الصليب، مع توقفنا عن الجزم بشيء من التفاصيل في كيفية نجاته، فلا يوجد بين أيدينا دليل موضوعي علمي يمكننا الرجوع إليه سوى شهادات واستنباطات، أما الحقيقة المطلقة فهي ما ذكره الله تعالى في آية النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

شاهد المقال: أن قضية صلب المسيح عليه السلام لم تكتسب

أهميتها من جهة أنها جريمة قتل نبي من أنبياء الله الكرام فحسب، فإن كثيرًا من الأنبياء والرسل رحلوا عن هذا العالم نتيجة لهذه الجريمة المنكرة كيحيى وزكريا وحزقيال وغيرهم(١)، ولو أن المسيح صلب على الحقيقة لما كان هذا شيئًا فوق الإمكان، ولكن القضية قد اكتسبت أهميتها وخطرها من جهة أنها جُعلت أساسًا تقوم عليه ديانة كاملة يعتنقها مئات الملايين من البشر، وبنوا عليها عقائدهم، فعقيدتهم المسيحية البولسية المبدلة قائمة على صلب المسيح ومن ثم تأليهه، كذلك فهي أساس للتثليث، وأساس لاتخاذ الصليب رمزًا للديانة المسيحية كلها كدين، إذن فالأصل الذي تفرعت عنه العقائد هنا وهو الصلب.

---

(١) وهذا ديدن اليهود ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] ولم يسلم سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ من كيدهم فقد وضعوا له السم حتى مات في آخر عمره منه، فمات نبيًا رسولًا شاهدًا شهيدًا بأبي هو وأمي ونفسي صلوات الله وسلامه عليه.

وبالجملة فما بنت عليه الكنيسة عقائدها وشعائرها وطقوسها من الفداء والتكفير والخلاص محض خرافة لا غير.

قال جوردن مولتمان في كتابه (الإله المصلوب): «إن وفاة المسيح على الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله وعن الخليقة وعن الخطيئة وعن الموت تستمد محورها من صلب المسيح»[1]. وقبله قال بولس: «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم» (كورنثوس (١) ١٥: ١٤).

ولتبسيط فكرة الصلب والفداء ــ المفتراة ــ فيمكننا تشبيهها بقصة ملك تمرد عليه شعبه، فأرسل إليهم رسلًا يدعونهم إلى الخير والرجوع لسلطانه والإذعان لقوانين العدل والخير التي وضعها، لكن هؤلاء قتلوا رسله واستهزءوا بهم وزادوا عتوًّا وعصيانًا، فزاد غضب الملك عليهم فأصدر قرارًا أنه سيبعث إليهم ابنه الوحيد ليضربوه

(١) عن: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ديدات، ص١٠.

ويقتلوه ويهينوه كفارة عن معاصيهم! فمن صدّق ذلك فهو عنده الكريم المغفور له. كما أصدر أمرًا آخر بإلغاء كل قوانين العدل والرخاء السابقة، وأبدلها بمرسوم مقتضاه أن الراضي بقراره بقتل ابنه ووحيده فداء لأعدائه فهو مواطن صالح بغض النظر عن أفعاله بالغة ما بلغت من العصيان[١]!

فهل يُوصف هذا الملك بالعدل والرحمة والحكمة والرشاد؟!

هذه باختصار فكرة الصلب والفداء مع تغيير المسميات، وتعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون.

قال ج. ر. سوت في كتابه (المسيحية الأصلية) عن فكرة الخطيئة والكفارة والصلب والفداء: «إنه عمل غير عادل، وغير أدبي، وغير لائق، ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء»[٢].

---

(١) انظر: براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح عليه السلام، محمد حسن عبد الرحمن، ص١٢٨-١٣٠.

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ص٣٧٢.

وفي الطبعة الجديدة من (كتاب الحياة)[1] في رسالة بولس للعبرانيين: «والمسيح في أثناء حياته البشرية على الأرض رفع أدعية وتضرعات مقترنة بصراخ شديد ودموع طالبًا إلى الله أن يستخدم قدرته الفائقة بانتشاله من الموت وقد لبى الله طلبه إكرامًا لتقواه» وهذا نص صريح في نجاته من الصلب.

ولما كان اليهود قد حملوا كبر محاولة قتله؛ فسوف يجزيهم بالصاع الأوفى في آخر الزمان، حين يقاتلهم بجنده المسلمين، ويكون هلاك اليهود على يديه، فيقتلهم بعدما يقتل ملكهم المسيح الدجال، فيهلك مسيح الضلالة على يد مسيح الهدى عيسى ابن مريم عليه السلام، حيث يطعنه بحربته في باب لد في بيت المقدس ويرى المسلمين دم الدجال.

---

(١) الصادر سنة (١٩٨٢م).

المبحث الثاني
نقض عقيدة الصلب والفداء وبراهين زيفها عقلًا ونقلًا

وهي كثيرة عند التفصيل ولكن نحاول إجمالها في التالي:

أولًا: أنها لا تليق بألوهية وربوبية وأسماء وصفات وأفعال الله تعالى.

وقد تقدم شيء من ذلك وسيأتي في تضاعيف هذا الفصل مزيد بيان - بإذن الله تعالى - ويكفي أن تتصور حقيقتها ومآلاتها.

ثانيًا: أصولها الوثنية:

بما أن أصول الديانة المسيحية المبدلة وثنية فلا غرابة في كون المبدأ الذي قامت عليه مختلسًا من عبدة الأوثان.

قال فرازر ـ وهو متخصص في الإنثروبولجيا والديانات العالمية ـ: «كانت العادة في العصور القديمة أن يقدم حاكم المدينة أو البلد ابنه المحبوب ليموت نيابة عن الناس جميعًا إذا ما هدد خطر ما المدينة أو البلد ليكون فدية عنهم للشياطين المنتقمة... (كذلك) فكرة الإله الذي يموت في صورة كبش

الفـداء لينقـذ عبـاده مـن جميـع أنـواع المـصائب... فحـين نـستعرض هـذا الخداع المـؤلم عـلى مـر التـاريخ مـن صـورته البدائيـة عنـد الأمـم الهمجيـة إلى تطـوره الكامـل في علـم الإلهيات التـأملي لـدى الأمـم المتحـضرة فإنـا نعجـب لتطـور هـذه الفكـرة التـي حولـت عقيـدة كـبش الفـداء[١] الباطلـة إلى

(١) ولا ارتباط بين هذه العقيدة وبين قصة الذبيح إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فإن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ابنه تقرّبًا إليه حتى يمتحن حبه لربه يقدم أم حبه لابنه؟ فلما أراد الخليل عليه السلام التقرب إلى الله بذبح ابنه وأضجعه وجعل السكين على رقبته؛ فداه الله بكبش عظيم فدية عن هذا الابن البار المؤمن وهذا الأب المسلّم أمره لربه ومعبوده، ولا زال المسلمون يستشعرون تلك القصة العظيمة، ويتقربون إلى الله تعالى بذبح القرابين والضحايا في يوم عيد الأضحى متعبدين لله وحده لا شريك له بالذبح له وتقديم القرابين له دون ما سواه، وهذا ليس بقريب من عقيدة الفداء عند المسيحيين، فالمسلمون يتقربون بذبح القرابين لمولاهم وأولئك عكسوا القضية على ربهم! ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي =

تصور رفيع بأن الإله يموت ليمحُ ذنوب الدنيا كلها!»[١].

وفي العهد القديم إثبات أن ذلك العمل كان عادة للموآبيين الوثنيين أعداء بني إسرائيل، حيث قدم ملك موآب ابنه البكر فدية أثناء الحرب الشديدة عليهم من إسرائيل (الملوك (٢) ٢: ٧٢) وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة لم يكن يتحدث من تأليفه واختراعه، بل قد استنسخ ذلك من عقيدة قديمة تناقلتها الوثنيات عبر أحقاب طويلة قبل المسيح عليه السلام[٢].

= ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

(١) المسيحية، ص١٤١.

(٢) أظهر الكثير من أحرار المفكرين الغربيين (أي أتباع الحضارة الغربية الحديثة حتى لو كانوا في موسكو) عداوتهم لبولس حتى إن الكاتب الإنجليزي بنتام ألف كتابًا سمّاه (يسوع لا بولس) ومثله غوستاف لوبون في كتابه (حياة الحقائق) وآخر عقد فصلًا بعنوان: (من يلقي بولس خارج الكتاب المقدس؟)، أما المؤرخ ويلز ـ وهو من المعتدلين ـ فقد عقد فصلًا بعنوان (مبادئ أضيفت =

ومـن أوضـحها شـبهًا بقـصة المـسيح أسـطورة إله بابـل (بعـل) فقـد اكتـشف مـؤخرًا لـوحتـان أثريتـان تعـودان للقـرن التاسع قبل الميلاد، وفيهما قصة تشابه تمامًا قاله آباء الكنيسة عن صلب المسيح ومحاكمته.

وقد عقد آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) مقارنة بـين مـا قيـل عـن بعـل قبـل المـسيحية ومـا قيـل عـن المـسيح،

= إلى تعـاليم بـولس) وذكـر فيـه أن المؤسـس الحقيقـي للمسيحية هـو بـولس الـذي كـان متبحـرًا في لاهوتيـات الإسـكندرية الهيلينيـة وبطرائـق التعبـير الفلـسفي للمـدارس الهيلنـستية وبأسـاليب الرواقيين، ثـم قـال: «ومـن الـراجح جدًّا أنـه تـأثر بالميثرائية إذ هـو يـستعمل عبـارات قريبـة الـشبه بالعبـارات الميثرائيـة، وكـان ذهنـه مشبعًا بفكـرة الـشخص الـضحية الـذي يقـدم قربانًـا لله كفـارة عـن الخطيئة».

معالم تاريخ الإنسانية، ويلز (٣٠/٧٠٥، ٧٠٦)، إذن فمصدر عقيدة الخلاص هي وثنية الميثرائية، ثم زادت الكنيسة فيما بعد فكرة تقديس الخشبة التي صلب عليها المخلص!

وانظر: العلمانية، د. الحوالي، ص٣٦، ٣٧.

ويوضحه الجدول التالي[1]:

	المسيح عليه السلام	بعل
١ ـ	أخذ المسيح أسيرًا.	أخذ بعل أسيرًا.
٢ ـ	حوكم علنًا.	حوكم علنًا.
٣ ـ	اعتدي عليه بعد المحاكمة.	جرح بعد المحاكمة.
٤ ـ	اقتيد لصلبه على الجبل.	اقتيد لصلبه على الجبل.
٥ ـ	كان معه قاتل محكوم عليه بالإعدام (باراباس)	كان معه قاتل محكوم عليه بالإعدام
٦ ـ	جرت العادة أن يعفو الحاكم بيلاطس عن أحد المجرمين في عيد اليهود كل عام، لكن اليهود طلبوا العفو عن المجرم باراباس وإعدام المسيح.	جرت العادة أن يعفو الحاكم عن شخص حكم عليه بالموت كل عام، لكن الشعب طلبوا إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.
٧ ـ	عقب تنفيذ الحكم زلزلت الأرض وأظلمت السماء واضطرب الناس.	عقب تنفيذ الحكم عليه عم الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس.

(١) وقد سبق ذكر مقارنات وجداول في كتاب: (المسيحية من التوحيد إلى الوثنية) ضمن هذه السلسلة ولكن هنا بعض الزيادات الخاصة في هذا الموضوع.

٨-	حرس الجنود مقبرة المسيح حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه.	حُــرس بعــل في قــبره حتــى لا يسرق أتباعه جثمانه.
٩-	جلست مـريم المجدليـة ومـريم أخرى عند قبر المسيح يبكينه.	الأمهات جلسن حول قبر بعل يبكينه.
١٠-	قـام المـسيح مـن قـبره في مطلـع الربيع وصعد إلى السماء.	قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد للسماء.

ونعـود فنقـول إن أسـطورة بعـل(١) قـد سـبقت أسـطورة صلب المسيح بعدة قرون، ولعلها قد انتقلت للمسيحية لما

---

(١) وقد عبدته فئام من اليهود تأثرًا بجيرانهم الوثنيين فبعث الله لهم نبيه الكريم إلياس ـ إيليا ـ فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣. ١٣٢] وقيل إن إلياس هو إدريس وقد بعث فيهم بعد حزقيل (حزقيال) وقيل غير ذلك. كما عند ابن كثير (٤/ ٢٤٠٤) طبعة دار السلام.

كانت من بقايا الحكايات التي نقلها أسرى اليهود الذين عادوا من بابل وفارس.

كذلك عند الهندوس أسطورة مشابهة فيقولون: «فلما مات المخلص كرشنا على الصليب حدثت في الكون مصائب جمة وعلامات متنوعة...».

وعند عبّاد بروسيوس: «لما صلب بروسيوس على جبل قوقاس اهتزت الكائنات وزلزلت الأرض».

كذلك عند الرومان فقد ذكروا نحو هذه الخرافات عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتزلكوتل وكيبيرنيوس إله الرومان الوثني.

كما كان عند قدماء المصريين أوثان على هذا النمط، فذكروا قيامة الآلهة الأموات، كذلك عند البابليين عبّاد تموز والفرس والرومان في ميثرا، في أمثلة كثيرة مرت معنا في رسالة سابقة[1]، وقد وقع المسيحيون فيما حذرهم الله منه،

---

(١) وانظر كذلك: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص١٠٥-١١٠.

فقال جل ذكره: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ثالثًا: نقد الروايات الإنجيلية لحادثة الصلب:

قصة الصلب إجمالًا بحسب العهد الجديد أن المسيح عليه السلام طلبه اليهود ليقتلوه بزعمهم أنه كافر بالله تعالى، فاختفى عنهم فدلهم على مكانه أحد تلامذته وهو يهوذا الإسخريوطي بعد أن أغروه بثلاثين درهمًا، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد فراغه من صلاة طويلة وتضرع إلى الله تعالى أن لا يذيقه كأس الموت، وأراد بعض تلامذته الدفاع عنه لما وصل الجند فنهاهم المسيح، ثم ساقوه إلى رئيس كهنة اليهود الذي تحقق من أنه مستحق للقتل، فحملوه إلى الوالي الروماني الذي حكم عليه بالصلب بناءً على إلحاح اليهود

عليه بذلك، فصلب الساعة الثالثة صباحًا من يوم الجمعة، ومات على الصليب في الساعة التاسعة مساءً بعد أن صاح: «إلهي إلهي لم تركتني» ثم أنزل من الصليب في تلك الليلة، وأدخل قبرًا بقي فيه تلك الليلة ثم نهار السبت ثم ليلة الأحد[1] ولما جاءوا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خاليًا، وقيل لهم: إنه قام من قبره، ثم ظهر لهم في الجليل وكلمهم وأوصاهم وبقي معهم أربعين يومًا، ثم ارتفع إلى السماء وهم ينظرون إليه. كما في الإصحاحات (متى ٢٦ـ٢٨) (مرقس ١٤ـ١٦) (لوقا ٢٢ـ٢٤) (يوحنا ١٨ـ٢١) (أعمال ١ـ٣).

هذا مع تناقض كبير بين الأناجيل في ذكر تفاصيل أحداث القصة، وقد تناقلها المسيحيون بالتسليم ـ خلا طوائف من الموحدين ـ حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأعلن بطلان وقوع الصلب على أخيه المسيح ابن مريم عليه السلام بوحي الله تعالى إليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ

(١) وبعضهم يلقب تلك الأيام فيقول: الجمعة الحزينة، سبت النور، أحد القيامة ـ أي من الموت ـ.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

إذا نظرنا وتمعنّا في الأناجيل الأربعة نراها قد اجتمعت على صلب المسيح عليه السلام ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد إذا كانت المسألة ستبحث بموضوعية ومنطق، أما بالتمحل وصرف اللوازم والسفسطة والقرمطة فكلّ أحد يستطيع إثبات عذوبة البحر أو ليونة الجبال أو برودة الشمس بل حتى إثبات النقائض أو رفعها!

والذين كتبوا الأناجيل الأربعة لم يشهدوا هذه الواقعة، فكيف نقبل شاهد إثبات على واقعة نعلم أنه لم يشهدها؟! فاثنان من الشهود وهما مرقس ولوقا لم يريا المسيح أصلًا ولم يدركاه، ولم يكونا من تلاميذه وحوارييه، فكيف يشهدان بصلبه؟! كذلك بقية شهود الإثبات فلم يحضر تلك الحادثة أي حواريّ للمسيح عليه السلام، كما قال مرقس: «فتركه الجميع

وهربوا» (مرقس ١٤: ٥٠)، ومثل هذه القضية الكبرى لو عرضت على محكمة متحضرة لسارعت إلى رد شهادة هؤلاء الشهود في أقل من دقيقتين[١]، ثم إن شهادة هؤلاء مختلفة وغير متطابقة، ناهيك عن أنها لم تكتب بخط شاهدها أصلًا! وغاية ما يقال أنهم دونوا أخبارًا سمعوها من أسلافهم فراج هذا الكلام على أشباه الأنعام[٢] الذين سلموا به بدون تحقيق أو بصيرة.

قال إينوك باول في كتابه (تطور الأناجيل): «قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل»[٣].

---

(١) انظر: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ديدات، ص١٨-٢٠.

(٢) فالأنعام تتبع نعيق راعيها حيثما شاء بدون تمييز لصالحها، ولو كان في سوقه لها حتفها وسلخها ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

(٣) عن: مخطوطات البحر الميت، أحمد عثمان، ص٣٩.

والآن مع تفنيد روايات قصة الصلب المزعومة فمن الأدلة(١):

أولًا: تناقضات روايات الصلب بين الأناجيل:

ومن ذلك:

١- هل ذهب رؤساء الكهنة للقبض على المسيح عليه السلام؟

إذ لم يذكر ذهابهم سوى لوقا، أما الثلاثة فلم يذكروهم مع أنهم من محاور القصة!

٢- متى حوكم المسيح عليه السلام؟

---

(١) للمزيد ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه السلام، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢/ ١٠٨ـ ٣٠٤)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام ابن القيم ص٣٨٤ـ ٣٨٧، هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د. السقار ص١٧ـ ١٣٣، المسيحية، ساجد مير ص١٤٢ـ ١٦٢، مسيحيون أم بولسيون، د. نادر عفيفي ص٣٢ـ ٤٧، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف ص٣٠٦ـ ٣٣٢، البهريز، علاء أبو بكر، الأسئلة ٢٨١ـ ٨٥٠.

فعند لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها، أما الثلاثة فيجعلونها ليلة القبض عليه!

٣- كم مرة سيصيح الديك؟ (وهو الموعد الذي سينكر قبله بطرس معرفته بالمسيح بحسب نبوءة المسيح).

فعند مرقس مرتين، وعند الثلاثة مرة واحدة!

٤- أين تعرفت الجارية على بطرس أول مرة؟ (لما تابعهم ليحضر المحاكمة).

فعند متى ويوحنا خارج الدار، وعند مرقس ولوقا داخلها!

٥- من الذي عرف بطرس في المرة الثانية والثالثة؟

فعند مرقس نفس الجارية، وعند متى أخرى، وعند لوقا رجل!

٦- لماذا حبس باراباس؟ (الذي أراد بيلاطس قتله والعفو عن المسيح عليه السلام).

فعند يوحنا أنه كان لصًّا، وعند مرقس صاحب فتنة،

وفي أعمال الرسل كان قاتلًا[1]!

٧- من حمل الصليب؟ (وهم ذاهبون للصلب)

فعند الثلاثة سمعان القيرواني، وعند يوحنا المسيح!

٨- ماذا كانت نهاية يهوذا؟

فهناك اختلاف وتضاد بينها سواء في طريقة موته، فعند متى أنه انتحر بخنق نفسه، وفي الأعمال أنه سقط على وجهه وانسكبت أحشاؤه، وفي الحقل الذي مات فيه هل اشتراه هو أم الكهنة، وهل مات نادمًا أم معاقبًا... ولاحظ أن غالب هذه الاختلافات هي من قبيل اختلاف التضاد وليس التنوع ـ أي لا يمكن الجمع بينها فإن صدقت بهذا كذبت بذاك..

كما أن هناك تناقضات أخرى كثيرة كاختلافهم في موقف المصلوبين معه، ومن الذي طلب تركه للموت تحدّيًا، وفي من سقاه الخل، وفي آخر كلامه قبل إسلامه الروح، وفي

---

(١) وبعض اللاهوتيين يرفع مقام سفر أعمال الرسل فوق بعض الأناجيل لغلبة الظن أنه بقلم بولس المباشر أو بقلم لوقا بإملائه.

وقت انشقاق حجاب الهيكل، بل إن التناقض قد وصل إلى اختلافهم في يوم القبض عليه، فعند يوحنا الخميس وعند الثلاثة الجمعة!

ثانيًا: تناقضات روايات قصة القيامة:

والمقصود بالقيامة أي قيامة المسيح من قبره بعد موته المزعوم[١] فمنها:

١- متى أتت الزائرات إلى القبر؟

فعند مرقس بعد طلوع الشمس، وعند لوقا ويوحنا «والظلام باق»!

٢- من زار القبر؟

فعند يوحنا: مريم المجدلية فقط[٢]، وعند متى:

---

(١) المشهور عندهم أنه قام بعد ثلاثة أيام، ولكن بحساب الزمن المذكور في رواياتهم نجد أن القيامة كانت بعد يوم واحد وليلتين فقط، أي من مساء الجمعة إلى صباح الأحد.

(٢) لم تتفق الأناجيل إلا على هذه الشاهدة المجدلية التي شهدت خلو قبر المسيح، مع أن هذه الأناجيل تصف هذه الشاهدة بأنها المرأة=

المجدليـة ومعهـا مـريم أخـرى، وعنـد مـرقس: أم يعقـوب وسالومة مع المجدلية، وعند لوقا: نساء كثيرات! علمًا بأن هذا كله وقع في زيارة واحدة في وقت واحد!

٣- ماذا رأت الزائرات؟

ففي مرقس شابًّا جالسًا، وعند متى ملاكًا، وعند لوقا

= التي خرجت منها سبعة شياطين (لوقا ٨: ٢) (مرقس ١٦: ٩) بينما يصفها (قاموس الكتاب المقدس، ص٩٠٦) بالمرأة المصابة بالأمراض العصبية، فهل يمكن الاعتماد على شاهدة الإثبات على أكبر قضايا الديانة المسيحية مع وجود هذه التقارير الطبية النفسية؟

ويذهب بعض الباحثين إلى أن مريم المجدلية قد تكون زوجة للمسيح عليه السلام، ويستدل ببعض إشارات المسيح عليه السلام لها وعنايته بها، بل ويذهب إلى أنها ولدت له صبي، وهذا الكلام مع أنه ليس بمستحيل ولا ممتنع على الرسل والأنبياء، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨]، إلا أنه لم يرد ما يثبت ذلك سواء من وحي الله تعالى أو من الحوادث التاريخية، ولو كان لاشتهر ولو في جيل لاحق للمسيح، لذا فالأظهر أنه لم يتزوج أصلًا، والمسألة فيها سعة إن شاء الله.

رجلين، وعند يوحنا ملكين!

٤- أين لقيت المجدلية المسيح عليه السلام؟

فعند يوحنا أن اللقاء كان داخل قبر المسيح، وعند متى بعيدًا عن القبر، كذلك الاختلاف فيمن بشرها بالقيامة، هل المسيح أم الملائكة؟!

٥- كم مرة ظهر المسيح؟ وأين؟

ففي يوحنا ثلاث مرات، وعند الثلاثة مرة واحدة! ويرى لوقا أنه تم في أورشليم، ويرى متى مرقس أنه كان في الجليل!

٦- هل حضر توما لقاء المسيح بالتلاميذ؟

فأثبته متى، ونفاه يوحنا، أما في الأعمال فقد أثبته وأثبت كذلك حضور يهوذا الإسخريوطي!

٧- كم بقي المسيح عليه السلام في الأرض قبل الرفع إلى السماء؟

ففي متى ومرقس أنه ارتفع في نفس يوم قيامته ـ أي يوم الأحد ـ أما في الأعمال فبعد أربعين يومًا!

إذن فبعد أن ظهرت هذه التناقضات فإن تلك القصة التراجيدية تسقط من الحقيقة وتبقى في الخيال، وهل هذه التناقضات إلا دليل على شهادات زور في روايتها، وهل يُعرف شهود الزور في أي محكمة إلا بتناقض شهاداتهم؟! كيف وهم لم يحضروها أصلًا! والغالب أنهم اقتبسوها من الفلكلورات الشعبية والأساطير الحكواتية للأمم الأخرى فألبسوها المسيح عليه السلام، وصنعوا شيئًا من لا شيء!

وروجوا هذا الكلام وتتابعوا على روايته بعدة أساليب حتى استقر في الذهنية المسيحية، ومن هناك استطاع رجال الكنيسة نسج العقائد الخرافية على حساب الحقائق التاريخية(١).

---

(١) وقد استفاد من تلك المدرسة جوبلز وزير إعلام أدولف هتلر، فقد اشتهر قوله: «اكذب واكذب واكذب حتى يصدّقك الناس» وفي هذا الزمان اشتهر مكتب للسي آي إيه مهمته تلفيق الأكاذيب سواء لجلب خير للأمريكان أو دفع سوء عنهم، وتغذية ذلك المكتب بإمكانات مخابراتية وإدارية وإعلامية وإستراتيجية هائلة.

لـذلك فقـد استـسلم الأب متـى المـسكين لإلحـاح الـضرورات العقليـة فقـال: «رجاء وتوعيـة لكـل قـارئ أن لا يتعثر من الاختلافات الواضحة في قصة القيامة؛ لأن الـذي يتحدث عن القيامة إنما يتحدث عن أمور ليست تحت ضبط العقـل والفكـر والحـواس والتمييـز البـصري، فكـل مـا يخص القيامــة لا يــدخل تحــت النقــد والفحــص أو التحقيــق والإيضاح» (كذا!)[1] وليته حينما اصطدم ببطلانها صحح الأمر وأعاد دفة السياق الصحيح ونفاها جملة، لكنه بكل أسف أحالنا على ألعوبة الكنائس (لا تسأل لا تشك!).

ثالثًا: تفرد أحد الأناجيل ببعض الأجزاء من القصة:

ولـيس هـذا مـن بـاب التكامـل بـين الروايـات لأن الإنجيليين اعتمد فيهم اللاحق على السابق، وليسوا أهل مرحلة واحدة وعصر واحد حتى يكمل هذا نقص ذاك.

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين، ص٨٣٢.

فمـن التفـردات تفـرد لوقـا بـذكر المـلاك الـذي يقـوي المسيح، كـذلك وصـفه لمعانـاة المسيح مـع أن جميـع التلاميـذ كـانوا نـائمين وقتهـا ـــ حسب الروايـات ـ!، كـما انفـرد لوقـا بإغفال قصة إبراء المسيح لأذن العبد مع أنها معجزة باهرة لا يحسن إخفاؤهـا، مع قـول لوقـا في مقدمتـه: «قـد تتبعـت كـل شيء بتـدقيق» (لوقـا ١ : ٣)، فهـل تركـه لـذكرها إلا مـن بـاب شـكه فيهـا؟! خاصـة أن هـذه الآيـة البـاهرة لم تـؤثر في أولئـك العسكر! كذلك فقد انفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل مع أن هيرودس مات قبل ذلك بنحـو ربـع قـرن، إبـان طفولـة المـسيح (متـى ٢: ١٩، ٢٠)، وصــــدق الله العظــــيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أمـا متـى فقـد تفـرد بعجائـب أخـر، فمنهـا تفـرده بـذكر الخـوارق العجيبـة بعـد قيامـة المـسيح كخـروج القديـسين مـن قبـورهم ودخـولهم القـدس! قـال نـورتن الملقـب بحـامي

الإنجيل: «هذه الحكاية كاذبة»[١]، وشهد بذلك أيضًا المفسر جون فنتون بقوله: «لقد كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين للناس أن موت يسوع كان عملًا من صنع الله»[٢] أي أنه قد تعمد الكذب، ونبل الغاية لا يبرر سوء الوسيلة.

رابعًا: النقد الضمني لهذه الروايات:

هناك خلل واضح في حبكة القصة، وحلقات مفقودة في سردها، واهتزاز في تناسقها، إضافة إلى تهافت المعنى. ويلزم من اعتقد صحة تلك الروايات أن يسلم بأحد أمرين:

إما أن المصلوب ليس المسيح عليه السلام، وإما أن هذه الروايات موضوعة مكذوبة من غير خبير، وغير محبوكة الصنعة، وقد آن إثبات ذلك، وعليه فنقول:

ما سبب هذا الانحراف المفاجئ في إيمان يهوذا؟! أليس

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص١٦٢، ١٦٣.

(٢) ص٤٤٤ من تفسيره.

من المحتمل أن يكون قد فدى المسيح بنفسه وقدم روحه دون نبيه ورسوله، وأن المسيح عليه السلام ــ على حسب روايات خارج العهد الجديد ــ قد خيّر حوارييه أن من يفديه منهم بنفسه ويقبل أن يلقى شبه المسيح عليه ويلقى مصرعه بدلًا منه يكون رفيق المسيح في الجنة؟!

وعند يوحنا «فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي فبعد اللقمة دخله الشيطان» (يوحنا ١٣: ٢٦، ٢٧)، كيف لم يستطع يهوذا إخراج الشيطان من نفسه وهو أحد من قال لهم المسيح: «أخرجوا شياطين» (متى ١٠: ٨)؟!

كذلك كيف جهل الكهنة مكان المسيح عليه السلام وهو يعلّم كل يوم في الهيكل؟! (لوقا ٢٢: ٥٢).

كيف عرف رئيس الكهنة قيافا أن المسيح سيموت عن الشعب ويفديه (يوحنا ١١: ٤٩ـ ٥٢) مع أن قيافا كان من الظالمين؟! (لوقا ٢٢: ٥٣).

كيف تكون الجماهير ضد المسيح وتطلب إعدامه (يوحنا

١٩: ١٢) وهو الذي أراهم الآيات والدلائل والمعجزات حتى آمنوا به واتبعوه وقد كان تعدادهم بالألوف؟! (متى ٢١: ٨-١٠).

كيف يستدفئ بطرس بالنار مع الناس (يوحنا ١٨: ٢٥) مع أن القصة قد حدثت في الصيف في شهر نيسان وفيه عيد فصح اليهود؟[١].

ما هذا التردي الإيماني عند بطرس وهو ــ بحسبهم ــ زعيم الحواريين وبيده مفاتيح السماوات والأرض، مع ذلك نراه ينكر معرفته بالمسيح ثلاث مرات، بل وأضاف للإنكار حلفًا ولعنًا ــ أي يلعن المقبوض عليه ــ ويبرأ من معرفته؟! فهل كان يلعن نبيه المسيح أم المصلوب الخائن أم المصلوب الفادي؟!

ثم إن هذا الحلف واللعن سقوط لا يتفق مع خصوصية بطرس مثال الثبات والقوة والملقب بصخرة الحق والذاب

---

(١) وهو يوم عاشوراء عند المسلمين.

بسيفه عن المسيح (لوقا ٢٢: ٣٢) كما أن الحلف منهي عنده عندهم حتى لو كان صادقًا فكيف بحلفه كاذبًا؟! (متى ٥: ٣٤-٣٧)، وعلى ذلك فبطرس شرير ــ حسب أفعاله في هذه الروايات ـ «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلًا» (الخروج ٢٠: ٧).

الحق نقول إن بطرس لا يمكن أن يهون عليه نبيه ومعلمه إلى هذا الحد[١]، ولو فعل ذلك لما استحق الفضيلة، فضلًا عن المعجزات المذكورة في الأناجيل، وعليه فإن بطرس كان صادقًا محقًّا في حلفه ولعنه؛ إذ الملعون هو المصلوب، وليس هو المسيح بل غيره، إذ هو يرى أمارات في المصلوب ويوقن أنه ليس المسيح عليه السلام.

(١) لما رفع مشركو قريش خبيب بن عدي رضي الله عنه ليضربوا عنقه بالسيف، قالوا له: «أتود أن محمدًا مكانك وأنت آمن في أهلك» فرد عليهم بثبات المؤمنين ويقين المتقين: «والله ما يسرني أني آمنٌ في أهلي ومحمد تصيبه شوكة»! أي فكيف بما فوقها؟! أما الذين قتلوا دونه في الحروب فلا يحصون كثرة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

كذلك تُظهر الأناجيل المسيح على الصليب وهو في غاية الضعف والمهانة، يستجديهم الماء وهو يرى شماتتهم ثم يسمعهم صُراخه! والتاريخ مليء بالذين يقتلون في عزة وأنفة وإباء[١]، وهذا الضعف والخور لا يتطابق وشخصية المسيح القوية وشجاعته وصدعه بالحق، وهو من تحدى اليهود أنهم سيطلبونه ولا يجدونه[٢] (يوحنا ٧: ٢٣)، وهو المسيح القوي الذي دخل الهيكل فطرد الصيارفة وقلب موائدهم وكراسي الباعة (مرقس ١١: ١٥)، وهو الصابر الذي صام أربعين يومًا متواصلة[٣] (متى ٤: ٢) إذن لم كل هذا الجزع والضعف؟ وممن؟! من المسيح الذين يدعون إلهيته! إن هذا الجزع لا يصدر ممن كان يوصي تلاميذه بقوله: «لا تضطرب

(١) ومن آخر الأمثلة صدام حسين الذي ضرب أروع الأمثلة في عزة مَن قتل بيد أعدائه.

(٢) فهم إما لم يجدوه وألصقوا العقوبة بغيره حتى لا يهتزوا أمام الشعب، وأما أن الشبه ألقي على غيره فلم يجدوه هو على الحقيقة.

(٣) فكيف يستجدي أعداءه شربة ماء صباح القبض عليه؟!

قلوبكم ولا ترهب» (يوحنا ١٢: ٢٧)[١].

كـذلك فبعـد القيامـة لم ظهـر المـسيح لتلاميـذه دون أعدائه؟! أليس هذا أظهر لحجته، وأدعى للإيمان به؟! ثم ماذا كان موقف الكهنة من القيامة المزعومة؟! لم لم تذكر؟!

ومن الأدلة على كذب القيامة: وجود المسيح وظهوره، وهذا مخالف للأخبار التي لا تقبل النسخ والتبديل ـ عند المناطقة ـ «الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد» (أيوب ٧: ٩)، والهاوية هي الموت أو الجحيم، ولو كان المسيح قد مات لم يروه بعد لأنه قد قال: «لأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا» (يوحنا ١٦: ١).

ومن الأدلة على بطلان قصة الصلب والقيامة للمسيح عليه السلام، دعاء المسيح عليه السلام ربه وضراعته وإلحاحه «إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس» (متى ٢٦: ٣٩)، أليس الكتاب المقدس يقول: «الرب بعيد عن الأشرار يسمع[٢] كلام

(١) وانظر: هل افتدانا المسيح، د. السقار، ص٤٣.

(٢) يسمع أي يستجيب وهو سمع إجابة لا مجرد سمع إحاطة، كقول =

الصديقين» (الأمثال ١٥ : ٢٩)، والمسيح من سادة الصديقين بلا شك، إذن فقد استجيب دعاؤه، فهذا لازم نصوصكم وأخباركم، فلم الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض[1]؟!

ومن الأدلة المفندة أن الروايات لم تذكر أن المسيح بعد قيامته أخبر التلاميذ أنه صلب أو قام من الأموات، إنما كان غاية كلامه توبيخهم على قساوة قلوبهم!

خامسًا: وجود كثير من فرق المسيحيين المنكرة لصلب المسيح عليه السلام.

فعقيدة صلب المسيح إنما شاعت في العصور المتأخرة حينما روجتها الكنيسة العامة والمجامع المسكونية، أما في

= المسلمين في صلاتهم: «سمع الله لمن حمده» أي: استجاب الله لمن دعاه، بالثواب في دعاء الثناء وبالإجابة في دعاء المسألة.

(١) وهذا من باب الإلزام بنصوص اتفقوا عليها، أما مسألة استجابة دعاء الأنبياء مطلقًا فلسنا هنا بصدد بحثها وتقرير الحق فيها، ولا يتصور من نبي من أولي العزم من الرسل، وقد أمر النبي محمد ﷺ بالاقتداء به وبصبره أن ينكل عن مثل هذه ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

العصور الأولى فقد كان الأمر عكس ذلك لدرجة أن بولس ــ كبير دعاة فكرة الصلب ــ قد اعترف بنجاة المسيح من الصلب وأن الله قد استجاب دعاءه «إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه» (عبرانيين ٥: ٧، ٨) ولكن لعل هذا الاعتراف البولسي كان تقية ومكرًا للعبرانيين حتى يأخذهم بما يريد شيئًا فشيئًا.

كما كانت هناك فرق مسيحية قديمة تنكر الصلب، وقد تجاوز عدد تلك الفرق خمس عشرة فرقة، وبعضها يعود للقرن الميلادي الأول.

قال فلوري: «لما أراد اليهود صلبه ــ أي المسيح ــ أخذ صورة سمعان القروي[١] وأعطاه صورته فصلب سمعان بينما كان يسوع يسخر باليهود»[٢].

---

(١) لعله القيرواني.

(٢) الهرطقات مع دحضها، الفونسو ماريا دي ليكوري.

وفي القرن الثاني كانت الطائفة الغنوسطية[١] تقول: «إن سمعان القيرواني صلب بدلًا من يسوع»[٢].

وقد استمر إنكار صلب المسيح عليه السلام زمانًا، ومن مشاهير المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠م) ثم الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠م).

ومن أشهر الفرق المنكرة لصلبه وألوهيته فرقة الباسيليديون، وهناك فرق تؤلهه وتنكر صلبه كالروستية والمرسيونية.

كما تناقل علماء المسيحية إنكار صلبه وأعظمهم الحواري برنابا صاحب الإنجيل المنسوب إليه بإملاء المسيح له ـ على حد قوله ـ، ومنهم أرنست دي بوشي الألماني، كذلك ملمن في كتابه (تاريخ الديانة المسيحية) أما دائرة المعارف البريطانية فقد جعلت موضوع روايات الصلب أوضح مثال للتزوير في الأناجيل.

---

(١) الغنوصية، وهي من المذاهب السرية.

(٢) شرح متى، المفسر جون فنتون، ص٤٤٠.

ومـن المنكـرين للـصلب هيـام مـاكبي في كتـاب (الـدم المقدس وكأس المسيح المقدس)[١].

ومن المنكرين طائفة الرومانسيين في القرن التاسع عشر حيث ذكروا أن المسيح أنزل من على الصليب فاقد الوعي، وقـد عالجـه أطبـاء أسـينيون[٢] إلى أن اسـترد قوتـه وظهـر لتلاميذه الذين كانوا قد اعتقدوا وفاته.

ولهذا كله فقد بدأ غير قليل من الباحثين في إعادة قراءة روايات الصلب ــ في الأناجيل المعتمدة ــ من جديد، وقد

---

(١) وذكر في كتابه هذا أن المسيح لم يصلب، بل غادر فلسطين، وتزوج مريم المجدلية، وأنجبا أولادًا، وزعم أنه قد عثر على قبر المسيح في جنوب فرنسا ـ ولعلها من أثر حروب ملوك فرنسا مع الفاتيكان ــ كما زعم أن للمسيح أولادًا سيملكون أوروبا... وعلى هذا الكتاب ـــ المتهافت ـــ بنيت عدة نظريات وفرضيات، وألفت مؤلفات وقصص، ومن أشهرها رواية دان براون (شفرة دافنشي) التي طبع منها ملايين النسخ وصار لها ضجة خاصة في أوساط الشباب المسيحي.

(٢) راجع ما ذكرناه في جماعة كهوف قمران والبحر الميت عن الإسينيون العيسويين في (المسيحية من التوحيد إلى الوثنية).

خرج بعضهم بالتصور التالي للقصة الإنجيلية من العهد الجديد:

كان المسيح عليه السلام مستعدًا لقتال أعدائه، فأمر تلاميذه أن يشتروا سيوفًا ولو كلفهم ذلك بيع ثيابهم (لوقا ٢٢: ٣٦)، ثم انتقل من مكانه إلى بستان كبير، وأمر تلاميذه بالمراقبة (متى ٢٦: ٣٦ـ٣٨)، ثم أمرهم بالجلوس وذهب ليصلي، وأخذ معه بطرس وابني زبدي، وطلب منهما المكوث معه والسهر لأجله؛ لأن نفسه كانت حزينة حتى الموت (مرقس ١٤: ٣٣ـ٣٦)، ثم تقدم قليلًا وخر على الأرض ـ ساجدًا في صلاته ـ ودعا ربه أن ينجيه من الموت ويجيز عنه كأس المنية ويدعو بضراعة وأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (لوقا ٢٢: ٤٤)، وكان حريصًا على حياته إذ كان يصيح في تلاميذه كلما غلبهم النوم قائلًا: «لماذا لا ترقبون معي لساعة واحدة» (متى ٢٦: ٤٠)، ثم بعد ذلك تقبل الله دعوته ونجاه من مكر أعدائه، إذ تؤكد الأناجيل وقوع أشياء عجيبة ومشاهد غريبة وغير طبيعية منذ القبض

عليه حتى رفعه إلى السماء؛ منها أنه لما قال للجند: أنا هو «فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يوحنا ١٨: ٤ـ ١٦)، فلماذا رجعوا؟ وكيف سقطوا؟![١] فإن كانوا قد أمسكوه في تلك اللحظة[٢] وحاكموه ثم علقوه على الصليب من الساعة السادسة إلى التاسعة أي ثلاث ساعات فقط، وفي يوحنا أن الصلب غالبًا يطول أكثر من يوم كامل، ولكن لأن اليوم التالي هو السبت ولا يستحب فيه الصلب ــ حسب شريعة اليهود ــ لذلك طلبوا من بيلاطس أن يكسر سيقانهم فكسروا سيقان اللصين وتركوا المسيح لظنهم أنه قد

---

(١) فمن المحتمل أنه في تلك اللحظة التي سقطوا فيها أوقع الله شبه المسيح على غيره، والأجدر أن يكون يهوذا وهو الشخص الذي تم قتله وصلبه، ونجى الله عبده ورسوله المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٥٧] فمن المعنى المتبادر من هذا السياق أنه قد خُيِّل لهم أنهم قتلوه، وأنهم كانوا في شك من قتله.
مسيحيون أم بولسيون، د. محمد نادر عفيفي، ص٤٣.

مات (يوحنا ١٩: ٣١ـ ٣٣)، فإن كان المعلق هو المسيح[١] فقد أغمي عليه فقط لذلك ظنوه ميتًا، وقد تعجب الحاكم بيلاطس من هذه الوفاة السريعة (مرقس ١٥: ٤٣)، ثم دخل أحد أصحاب المسيح وهو يوسف على بيلاطس وطلب جسد المسيح فأذن له به فحمله وذهب به، وقد تعجب اليهود من ذلك واسترابوا فطلبوا حراسة القبر، فلعله لم يمت إذن، وليس فقط خوفًا من سرقة الجسد.

والأغرب ما حدث فجر الأحد وظنته المجدلية البستاني لأنه كان متنكرًا، ثم ذهبت لتلاميذه فلم يصدقوها، وبعد أن التقوا به أخبرهم أنه لم يصعد بعد إلى الله، ومعنى هذا أن روحه لم تفارقه أصلًا، فروحه لم تصعد إلى الله، والجسد الذي فيه الروح جسد حي لا ميت.

وعلى كل حال فالذي نختاره أن المسيح لم يعلق أصلًا على الصليب[٢]، فإن كان من أحد فهو غيره، إما يهوذا أو

---

(١) السابق، ص٤٤.

(٢) فالصلب التام هو تعليقه ميتًا أو تركه على الصليب حتى الموت، =

سمعان، أو أن اليهود أسقط في أيديهم بعد رفعه فعلقوا أحدًا ما مكانه، أو غير ذلك.

كما أن هناك قراءة جديدة لسياق القصة بناءً على أن يهوذا الإسخريوطي هو من ألقي عليه الشبه (اختيارًا أو عقوبة) والتمشي مع أحداث الرواية وفق ذلك، وهذا التحليل السياقي قد حل إشكالات كثيرة واجهها شراح العهد الجديد، كسكوته عند محاكمته، وكقوله: «أنتم تقولون»، وكإحباط الحاكم لما رآه أقل بكثير مما توقعه من شخصية المسيح، وكانهياره النفسي عند الصلب، وغير ذلك،وفي ظني أن هذا السياق الذي يبدأ بإلقاء الشبه على يهوذا لحظة سقوط الجنود إلى صلبه، مع حذف بعض الزيادات كقيامته من الأموات ونحوها أقرب كثيرًا إلى الواقع، إن لم يكن هو الواقع ذاته.

= وهل يطلق الصلب على من لم يمت؟ فيه تردد، والأظهر المنع، وعلى كلٍّ فالذي نراه أن جسده لم يمس الخشبة مطلقًا لا حيًّا ولا ميتًا عليه الصلاة والسلام.

سادسًا: نبوءات التوراة تفيد نجاة المسيح ﷺ من الصلب:

العجب أن المسيحيين يرون أن نبوءات التوراة ناطقة بصلبه وقيامته، فهل هذا حق أم أن الحق عكسه؟! لنرى[1]:

١ـ(المزمور ٢: ١ـ٥)[2]: «وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه... الساكن في السماوات يضحك، الرب يستهزئ بهم» (مزمور ٣٧: ١٢ـ ١٥)، «الأشرار قد سلوا سيوفهم وعدوا قوسهم لرمي المسكين الفقير... سيفهم

(١) لقد ارتضى منصور حسين في كتابه (دعوة الحق بين المسيحية والإسلام) محاكمة المسيحيين في هذه المسألة لأسفار التوراة، لاستحالة أن يغير اليهود كتبهم من أجل المسيحيين، وقد ذكر في كتابه ستة وثلاثين مزمورًا تذكر المسيح صراحة أو إيماء وتبشر بنجاته، وقد اكتفينا بذكر بعضها وما ذكر فهو شاهد ومثال على ما لم يُذكر، وهي ملخصة عن كتابه المذكور. وانظر كذلك: هل افتدانا المسيح، د. السقار، ص٥٣ـ٩٨.

(٢) المزامير منسوبة لداود ﷺ ولعلها بقايا كتابه الزبور ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] وفيها الكثير من الدخيل والمكذوب.

يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر» إذن فقد نجا مسيحه.

٢- (مزمور ٢٠: ١ـ٩): «ليستجب لك الرب في يوم الضيق» أي باستجابة دعائه حينما يطلب الفرج والنجاة «ليرفعك اسم إله يعقوب» أي يرفعه إلى السماء «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه» إذن فقد سماه باسمه وصرّح بنجاته بل برفعه إليه «يستجيبه من سماء قدسه» ثم يذكر سقوط الحرس لحظة نزول الملائكة لرفع عبده ورسوله المسيح عليه السلام «هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا. يا رب خلص ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا» أليست هذه نبوءة كالشمس في رائعة النهار تبشر بنجاة المسيح عليه السلام من يهود؟! وتأمل «رافعي من أبواب الموت» فهي تلخص القصة في جملة واحدة.

٣- يستدل رجال الكنيسة على الصلب بالمزمور (٢: ١ـ٣) وفيه: «شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لمن تمنعه... سألك فأعطيته» أليس السائل هو المسيح عليه السلام، كما في (متى ٢٦: ٢٩)«إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»؟! أليست هذه

هي إجابة دعوته حين أنجاه ربه؟!

ويُلمح المزمور إلى الحياة الممتدة للمسيح إلى قبيل قيام الساعة «حياةً سألك فأعطيته طول الأيام إلى الدهر والأبد» وهذا حق، فالمسيح حي لم يمت، وسوف ينزل آخر الزمان قبيل قيام الساعة، ثم يحكي المزمور مكيدة أعدائه التي لم تتحقق لهم «مكيدة لم يستطيعوها».

٤- يستدلون كذلك بالمزمور (٢٢: ١-١٨) ويغفلون عن أنها نبوءة بيهوذا أو غيره لما ندم على خيانه، وليس المسيح؛ لأن ذلك الداعي يصف نفسه بالدودة والعار والحقير، وبأن الله لا يستجيب له، فهل يوصف بهذا نبي كريم! فضلًا عن كونه ـــ وحاشاه وتعالى الله ـــ ابن الله العظيم، بل مدبر السماوات والأرضين؟! سبحانك هذا بهتان عظيم[١].

---

(١) في تفسير كنيسة الفجالة لهذا المزمور في وصف المسيح عليه السلام «أما هو فدودة حقيرة، وحالته ميئوس منها، وأن الله قد تركه.. صار مهانًا محتقر الشعب»!

وعليه فنبوءة المسيح ليست هذه المهينة فالحق يصدق بعضه بعضًا، بل نبوءته هي «استجب لي يا إله برّي، في الضيق رحّبت بي تراءف علي واسمع صلاتي يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عارًا[1] حتى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب. سلاه. فاعلموا أن الرب قد ميّز تقيه الرب يسمع عندما أدعوه» (مزمور ٤: ١ـ٣).

٥- يقول جامع تفسير أعمال الرسل من كتابات الآباء[2]: «الروح القدس بفم داود قد تنبأ عن يهوذا في المزمورين (٦٩، ١٠٩)» ويقصد «لتصر دارهم خرابًا وفي خيامهم لا يسكن ساكن» (مزمور ٦٩: ٢٥) فالمقصود يهوذا وليس المسيح، بدليل استشهاد بطرس في خطبته عن يهوذا: «لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خرابًا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» (أعمال ١: ٢٠). وعليه فهذه في المصلوب وليست في المسيح. وفيها «العار قد كسر قلبي»

---

(١) وهذا بالضبط ما فعله أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين.

(٢) ص١١.

وعاره وخيانته لنبيه «ويجعلون في طعامي علقمًا وفي عطشي يسقونني خلًّا» وهذا ما أكده إنجيل يوحنا في ذلك المصلوب ــ الذي هو الخائن وليس المسيح الكريم ــ (يوحنا ١٩: ٢٨ـ ٣٠).

٦- في المزمور (٣٥: ٤ـ٨) الذي يحتج به رجال الكنيسة على أنها نبوءة في الصلب، ويغمضون أعينهم عن هذه الجملة الكاشفة «بلا سبب حفروا لنفسي لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع» إذن فقد وقع الخائن في شبكته التي نصبها لنبي الله ورسوله عليه السلام «اقض لي حسب عدلك يا رب. إلهي فلا يشمتوا بي. لا يقولوا في قلوبهم هه شهوتنا لا يقولوا قد ابتلعناه ليخز وليخجل معًا الفرحون بمصيبتي ليهتف ويفرح المبتغون حقي وليقولوا دائمًا ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولساني يلهج بعدلك اليوم كله بحمدك» الله أكبر، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون.

٧- (المزمور ٤٠: ١١ـ١٧)[1] بعد دعاء طويل وتضرع «... عوني ومنقذي أنت يا إلهي لا تبطئ... ارتضي يارب أن تنجيني، يارب إلى معونتي أسرع... فمال إلي وسمع صراخي وأصعدني من جب الهلاك... ليخز وليخجل معًا الذين يطلبون نفسي لإهلاكها».

٨- (مزمور ٣٤: ١٥ـ ٢٢) «كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر».

٩- (مزور ٩١: ٢ـ ١٦) وفيه ذكر إرسال الله تعالى الملائكة لإنقاذ المسيح من أعدائه «لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملوك... أرفعه لأنه عرف اسمي يدعوني فأستجيب لدمعه أنا في الضيق أنقذه وأمجده» وهذه بشارات للمسيح عليه السلام في زبور جده داود

(١) يُعتبر هذا المزمور من المزامير المسيحية لأنه ـ في نظرهم ـ يتحدث عن آلام المسيح عليه السلام.

عَلَيْهِ السَّلَامُ بنجاته ورفعه، كذلك (مزمور ٥٧: ٢-٦) «أصرخ إلى الله العلي المحامي عني يرسل من السماء ويخلصني».

١٠- (مزمور ١١٨) الذي يقول عنه الأب متى المسكين: «إنه أغنى المزامير في وصف رسالة المسيح الخلاصية»[1]، ونرى هذا المزمور حجة عليهم لا لهم، ومهما استُدل على باطل بحق إلا كان ذلك الدليل ناقضًا لباطله، ومن أمثلة ذلك ما ورد في هذا المزمور (١١٨: ٥-٢٠) «من الضيق دعوت الرب فأجابني... كل الأمم أحاطوا بي باسم الرب أبيدهم أحاطوا بي واكتنفوني باسم الرب أبيدهم... يمين الرب مرتفعة يمين الرب صانعة ببأس لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب[2] تأديبًا أدبني الرب وإله الموت لم يسلمني»، وفي نفس المزمور بشارة بالآتي باسم الرب المبارك محمد ﷺ «الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس

---

(١) شرح إنجيل متى، الأب متى المسكين، ص٨٤.

(٢) نعم لم يمت بل أحياه الله وأطال في عمره حتى يتحدث بنعم الله عليه حين ينزل في آخر الزمان.

الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيينا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه آه يا رب أنقذ مبارك الآتي باسم الرب»[١].

الخلاصة في نبوءات المزامير هي إثبات نجاة المسيح عليه السلام ورفعه إلى السماء ونصره على أعداء الله وأعدائه وإهلاك الخائن الذي حفر له الحفرة فوقع فيها[٢].

سابعًا: دلالة الأناجيل والرسائل على عدم صلب المسيح عليه السلام:

تتحدث الأناجيل عن صلب المسيح عليه السلام، ولكن هل

---

(١) وانظر «سبع بشارات توراتية بنبي الهدى الخاتم عليه الصلاة والسلام والبركة» ضمن هذه السلسلة.

(٢) أما ما جاء في سفر إشعيا (٥٢، ٥٣) فلا علاقة له بالمسيح، بل هو يتحدث عن سبي بني إسرائيل في بابل، ويذكر ذلهم وعقوبتهم بسبب ذنوبهم، ثم إنعام الله عليهم بالخلاص منه والعودة إلى فلسطين، كما هو واضح في ربط أول السياق بآخره.
وانظر: عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، ص(١٠٦، ١٢٢، ١٩٦).

تنبأ المسيح أنه سيصلب؟ وهل علم بذلك التلاميذ؟[1]

والجواب:

١- كل ما في الأناجيل من إثبات ذلك دخيل منحول، كما في (متى ١٧: ٢٢، ٢٠: ١٦، ٢٦: ٢، ٢٣) وقد ألحق بالأناجيل في وقت لاحق، وهذا واضح بالاستقراء.

فعبارات متى التي يخبر فيها المسيح عن مؤامرة يتعرض لها ابن الإنسان وتودي به إلى الموت قد وردت بلا مقدمة ولا مناسبة ولا تعليق من قبل الحواريين! فإن كانت صحيحة فقد فهم الحواريون ــــ وهم أعلم بمراد المسيح عليه السلام وتنزيل كلامه على مراده ــ أن ابن الإنسان المذكور ليس هو المسيح عليه السلام. وكل هذه المواضع الأربعة المذكورة في متى لم تنص فقرة واحدة منها على المسيح، ومن المعلوم أن لقب ابن الإنسان ليس خاصًّا به، كما في (يوحنا ١٢: ٣٤) «من هو هذا ابن الإنسان» إذ لو كان اللقب خاصًّا به لما كان لسؤالهم

(١) ينظر: هل افتدانا المسيح، ص٩٩.

وجه!

٢- يقترن وصف الأناجيل لردة فعل التلاميذ بشيء من الغرابة، ففي (متى ٢٦: ١، ٢) لم يكن لهم حس ولا خبر ولا أثر! بيد أنه ذكر حزنهم في (متى ٢٦: ٢٣) فما الذي أحزنهم وهم لم يفهموا؟!

والدليل ما جاء في (مرقس ٩: ٣٢) «وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه» وقد أكد هذا لوقا. إذن لم خافوا من المسيح وترددوا في سؤاله مع ما اشتهر عنه عليه الصلاة والسلام من لطافة المعشر ودماثة الخلق والتحبب إليهم والتبسط حتى إنه قد غسل أرجلهم؟! وكانوا كثيرًا ما يسألونه في أمور أقل شأنًا من هذا الأمر. فلم لم يسألوه ويستفهموه؟!

٣- ذكر الإنجيليون الثلاثة ـ أصحاب الأناجيل المتوافقة[1] ـ أنه سيقوم في اليوم الثالث (متى ١٧: ٣)

(١) لأن يوحنا خالفها في كثير من المعاني والأخبار والألفاظ والأسلوب، مع ذلك فقد هيمن عليها ورد خلافها إليه لا عليه!

(مرقس ٩: ٣٢) (لوقا ١٨: ٣٣) وهذا لم يحصل، بل قد قام ـ حسب رواياتهم ـ بعد ليلتين ويوم واحد! ومن المعلوم أن الأخبار لا يدخلها النسخ.

٤- مما يؤكد معرفة التلاميذ أن المأخوذ ـ المصلوب ـ غير المسيح أنهم قد هربوا وتركوه ولم يهمهم شأنه، بل لم يحضروا محاكمته وصلبه ودفنه، سوى ما جاء عن بطرس الذي أنكره ولعنه وحلف على ذلك، وإنما هذا لعلمه بحقيقة المتهم الملقى عليه الشبه.

٥- لقد تنبأ المسيح بنجاته حيث قال: «كلكم تشكون فيّ هذه الليلة» (مرقس ١٤: ٢٧) والمسيح لا يكذب، وكلهم وقع في قلوبهم الشك لما رأوا شبهه في يهوذا ـ أو غيره ـ وبحكم ضعفهم البشري، وقوة الوارد على قلوبهم من هذا الإعجاز الخَلْقِي فقد ران عليهم طيف شك وتردد في المأخوذ المعتقل هل هو نبيهم أو غيره، وهذا يفسر هروبهم حتى لا يسقطوا في الشك المخل بالإيمان، فهم بين خبر جازم من نبيهم ونبوءة متحققة بما سيحصل، وبين هذا الوارد

الحسي القوي على تحملهم؛ فآثروا الهروب حتى لا يتعرضوا للامتحان، أما بطرس لقوة يقينه فقد ذهب بكامل إرادته ونجح في الامتحان حين قدم ما سمعه من نبيه على ما ترددت حواسه في قبوله.

وقد يكون الشك بلغ بهم ـ أو بأكثرهم ـ أبعد من ذلك حتى ظنوا أن المصلوب هو نبيهم المسيح الذي كان قد نبأهم بوعد الله له بالنجاة ـ ووعد الله لا يتخلف ـ ومع ذلك لما رأوا الشبه الشديد وقعوا في الشك والحيرة من تحقق النجاة.

٦ـ لو كان المسيح عليه السلام قد تنبأ لتلاميذه بقتله فلماذا دعا ربه في البستان وتضرع وبكى وصلى وسجد وطلب صرف الموت عنه؟! هل يرفض الرسالة الإلهية أم يكذب الخبر الصادق؟! وكلاهما محال في حق المرسلين، والمخالف يلزمه أحد أمرين: إما أن المسيح دعا دعاءً لا طائل من ورائه، وأن ربه لم يستجب إلحاحه واضطراره، وهذا باطل محال، وإما أن الله قد استجاب دعوة نبيه الكريم ونجّاه وخلّصه، وهذا هو

الحق. «والذي أرسلني هو معي[1] ولم يتركني وحدي؛ لأني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنا ٨: ٩).

---

(١) مصداق ذلك في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وكل نبي يُخيّر قبل موته، ولا يموت كرهًا بخلاف سائر البشر، والله يستجيب لمن أخلص له الدعاء وكان في حالة الاضطرار الكامل والبراءة من حول الدنيا ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾ [النمل: ٢٦٢] فكيف إن كان المضطر رسولًا كريمًا؟!
أما من قتل من سائر النبيين فلم يؤثر عنهم أنهم دعوا الله تعالى بصرف الكأس عنهم، وهذا من التسليم بالقضاء والرضى به، ولا يقدح هذا في المسيح عليه السلام لأنه كان يريد إتمام الدعوة والرسالة إلى مدى أوسع وأبعد مما وصل إليه الحال حينها.

٧- هناك نصوص واضحة وصريحة في نجاته فمنها:

أ ــ قال لأعدائه الكهنة: «ثم أمضي إلى الذي أرسلني ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يوحنا ٧: ٣٢ـ ٣٦) واليهود إنما بحثوا حينما طلبوا قتله، وبالطبع لم يجدوه لأن الله رفعه إلى السماء حيث لا يقدرون أن يأتوا.

ب ــ ويشهد لما سبق «حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يوحنا ٨: ٢١ـ٢٩).

جــ وكما قال لليهود في رفعه فقد قال لتلاميذه وحوارييه: «أنا معكم زمانًا قليلًا بعد. ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن...» (يوحنا ١٣: ٣٢ـ٣٦).

د ـ قول المصلوب ــ يهوذا أو غيره ــ وهو في المحاكمة: «من الآن سيكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله» (لوقا ٢٢: ٦٩) فقد رآه حين رفعته الملائكة إلى السماء بقوة الله.

هـ ـ قول المسيح عليه السلام: «هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يوحنا ١٦: ٣٢، ٣٣) وهكذا كان؛ فقد هربوا جميعًا وتركوه وحده، لكن الله تعالى معه بحفظه ونصره، لذا طلب منهم أن يثقوا أنه قد غلب العالم، فمن كان الله معه فمعه القوة التي لا تغلب، ومن آوى إلى الله فقد آوى إلى ركن شديد، وطلب منهم أن يثقوا في أنه في سلام، فأين هذا عن القول بأنه صفع وضرب وذل وأُهين وصلب؟! سبحانك ربي.

و ـ وهو أصرح دليل على نجاته «الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه» (عبرانيين ٥: ٧) فهذا النص شهادة ناطقة من بولس ـ الذي تصفونه بالرسول القديس ـ بنجاة عبد الله ورسوله المسيح ابن مريم عليه الصلاة

والسلام. وأن الله تعالى قد استجاب دعاءه ونجّاه من الموت والصلب، وهذا ما تيقنه المسيح من ربه «أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي» (يوحنا ١١: ٤٠، ٤١)[1].

---

(١) أما تفاصيل نجاته فقد وردت في إنجيل برنابا وتوماس ويهوذا وإنجيل بطرس وكتاب سيت الأكبر، ولم نذكرها هنا لأنها غير معتمدة عندهم، مع أنها أقرب للعقل والعلم والمنطق وموافقة للعهد القديم من هذه الأناجيل القسطنطينية، وقد قال أحد العلماء ناعيًا على المسيحيين قبولهم لذلك الهراء:

عجبًا لليهود والنصارى ... وإلى الله ولدًا نسبوه
أسلموه لليهود وقالوا ... إنهم من بعد قتله صلبوه
فلئن كان ما يقولون حقًّا ... فسلوهم أين كان أبوه
فإذا كان راضيًا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطًا غير راضٍ ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه!

فهل من عودة لنداء الفطرة، وإلحاح العقل، ونور العلم ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ =

٨- نلاحظ أن كل من تعامل أو تكلم مع المأخوذ للصلب أو احتك به شك في حقيقة شخصه، لأنه ليس المسيح، إنما هو شبيه له، فهناك معالم معنوية كانوا يعهدونها في المسيح كالشجاعة والفصاحة والطلاقة والثبات والعلم وقوة الحجة لكنهم لم يجدوا منها شيئًا في ذلك الماثل أمامهم الذي لم يأخذ من المسيح سوى شكله الخارجي! فالحراس سألوه مرتين عن نفسه قبل القبض عليه! ورئيس الكهنة يستحلف بالله من يكون؟! والأعجب أنه عندما يُسأل: أفأنت ابن الله؟ كان يقول: أنتم تقولون! أي أنه لم يصدق كلامهم ولم يكذبه، لأنه يعلم استحالة تصديقهم له إن قال إنه يهوذا، حتى بيلاطس قد اندهش من ضعفه وعيّه.

= يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٠]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

٩- القدرات الهائلة التي أعطاها الله للمسيح تمكنه من النجاة بإذن الله تعالى.

ومن أمثلة تلك القدرات: حينما أجمع كل من في الهيكل على إلقائه من فوق الجبل فكانت النتيجة «أما هو فجاز في وسطهم» (لوقا ٤: ٢٨-٣١).

ولما كان في الهيكل وهمّ اليهود بقتله «فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطتهم ومضى»[(١)] (يوحنا ٨: ٥٩).

وفي مرّة أخرى بعد محاجته لهم «فطلبوا أن يمسكوه ولم يلق أحدًا يدًا عليه» (يوحنا ٧: ٣)[(٢)].

وفي العيد حصل مثل ذلك (يوحنا ٧: ٤٣، ٤٤) كذلك

---

(١) وهذا ما دعى بعض الطوائف المسيحية أن تعتقد بقدرته على تغيير خلقته، بل وإزالة الجسد عن نفسه!

(٢) أما احتجاجهم بقوله: «لأن ساعة لم تكن قد جاءت بعد» فليس فيه إحالتها إلى موعد الصلب بل هي ممتدة إلى قبيل قيام الساعة، أما تحديدها بالصلب بلا دليل فهو تحكم بلا موجب.

في رواق سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ «فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم» (يوحنا ١٠: ٣٩، ٤٠) إنها حماية الله وتأييده له، كذلك ما حصل في الخزانة لما كان يعلّم في الهيكل «ولم يمسكه أحد» (يوحنا ٨: ٢٠).

بل والأعجب ذكرهم قدرته على تحويل هيئته لدرجة أن لم يعرفه أقرب الناس إليه «فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحًا» (لوقا ٢٤: ٣٦، ٣٧) كما ظنته مريم المجدلية البستاني (يوحنا ٢٠: ١٤، ١٥)، كما لم يعرفه التلميذان المنطلقان إلى عمواس (لوقا ٢٤: ١٣-١٩)، بل قد خفي أمره على تلاميذه أجمعين لما كانوا يصطادون السمك في بحيرة طبريا (يوحنا ٢١: ١-٧).

بل قد صرّحت الأناجيل بتغيير هيئته «وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة» (لوقا ٩: ٢٩)، «وتغيرت هيئته قدامهم» (متى ١٧: ١، ٢)[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرافضة في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل النصارى في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ادّعوا في المسيح الإلهية،=

= وأنه رب كل شيء ومليكه، وعلى كل شيء قدير، ثم يجعلون أعداءه صفعوه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه، وأنه جعل يستغيث فلا يغاث فلا أفلحوا بدعوى تلك القدرة القاهرة، ولا بإثبات هذه الذلة التامة.

وإن قالوا: كان هذا برضاه. قيل: فالرب إنما يرضى أن يطاع لا بأن يُعصى، فإن كان قتله وصلبه برضاه، كان ذلك عبادة وطاعة لله، فيكون اليهود الذين صلبوه عابدين لله مطيعين في ذلك، فيُمدحون على ذلك ولا يذمون! وهذا من أعظم الجهل والكفر. وهكذا شبههم فهم في غاية الدعوى وغاية العجز والذلة والعجز مصاحبة لكل شرك ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، والنصارى فيهم شرك بيّن ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. =

إذن فأين هذه الخواص الهائلة الخارقة في تلك الليلة التي كان أحوج ما يكون إليها خاصة بعد الضراعة والابتهال لربه والصلاة طوال الليل؟!

الجواب في القرآن الكريم ـ وهو الكتاب الخاتم والمهيمن على ما سواه والمصحح لما حرّف منها والحاكم بينها[1]. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ

= منهاج السنة النبوية (٧/٢٠٩، ٢١٠).

(١) قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩]، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾ [مريم: ٨٨-٩٨].

والخلاصة أن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل قد اتفقت على نجاة عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، وعلى رفعه ونصره وتكريمه(١).

---

(١) يرى بعض المحققين أن فكرة الصلب للمسيح هي من مبتدعات بولس ومخترعاته، والتي كانت كالمتلازمة له في رسائله «لأني لم=

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد بيانه لاختلاف أهل الكتاب وتفرقهم في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودينه:

«فبعث الله محمدًا ﷺ بما أزال الشبهة في أمره من افتراء اليهود وكذبهم على المسيح وأمه، ونزّه رب العالمين وخالق

= أعزم أن أعرف شيئًا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا» (كورنثوس (١) ٢: ٢) مع أنه قد باح مرة بسره واعترف بنجاة المسيح «وسمع له من أجل تقواه» (عبرانيين ٥: ٧) ومهما كتم الإنسان شيئًا إلا أظهره الله منه على فلتات لسانه وصفحات وجهه، مع أن التلاميذ قد رفضوا بولس وتعاليمه وتبديله «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا قد ارتدوا عني» (تيموثاوس (٢) ١: ١٥) بل قد حاكموه وغضبوا عليه وزجروه، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٨]، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عبدة الصليب الذين سبّوه أعظم السب، فأطبقوا على أن الإله الحق - سبحانه عما يقولون - صُلب وصُفع ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب، ثم قام في اليوم الثالث وصعد وجلس على عرشه يدبر أمر السماوات والأرض، ثم عمدوا إلى الصليب فعبدوه وعظّموه، وكان ينبغي لهم أن يحرقوا كل صليب قدروا على إحراقه وأن يهينوه غاية الإهانة؛ إذ صُلب عليه إلههم ومعبودهم الذي يقولون تارة: إنه الله، وتارة: إنه ابنه، وتارة: ثالث ثلاثة، فجحدوا حق خالقهم، وكفروا به أعظم كفر، وسبوه أقبح مسبة، وقد أخبر النبي ﷺ عن ربه في الحديث الصحيح[1] أنه قال: **«شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وكذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»**.

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة الإخلاص (٨: ٧٣٩).

فلو أتى الموحدون بكل ذنب، وفعلوا كل قبيح، وارتكبوا كل معصية، ما بلغت مثقال ذرة في جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين ومسبته هذا السب وقول العظائم فيه، فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعل بهم إذا لقوه ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ويسأل المسيح على رؤوس الأشهاد وهم يسمعون: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي [1] كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

---

(١) أي: فلما رفعتني إلى السماء. والوفاة في كتاب الله سبحانه جاءت على ثلاثة أوجه: بمعنى الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]، وبمعنى النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي =

[المائدة: ١١٦، ١١٧].

وبعد ضلال هؤلاء في الأرض بعث الله محمدًا ﷺ بما أزال الشبهة في أمره، فأنزل أخاه المسيح بالمنزلة التي أنزله الله بها، وهي أشرف منازله، فآمن به وصدّقه، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين في زمانها، وقرّر معجزات المسيح وآياته، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح في النار، وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزهه وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوا منه، بل رفعه إليه مؤيدًا منصورًا[1] لم يُشكه أعداء

= ينيمكم، وبمعنى الرفع، ومه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].
فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٣٥).

(١) ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن =

بشوكة، ولا نالته أيديهم بأذى، فرفعه إليه وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض فينتقم به من مسيح الضلالة الدجال وأتباعه، ثم يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويُعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد صلوات الله وسلامه عليهما.

فإذا وُضع هذا القول في كفة، وقول عبّاد الصليب المثلثة في كفة؛ تبين من له أدنى مسكة من عقل ما بينهما من التفاوت، وأن تفاوتهما كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه اليهود، فلولا محمد ﷺ ـ بتوفيق الله له ـ لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلًا؛ فإن هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار الخلق وليس بمسيح الهدى، والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل ولا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة، ولو صحّ وجوده لبطلت أدلة العقول، ولم يبق لأحد ثقة بمعقول

= ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١-٣].

أصلًا، فإن استحالة وجوده كاستحالة جميع المحالات، ولو صح ما يقولون لبطل العالم، واضمحلت السماوات والأرض، وعُدمت الملائكة والعرش والكرسي، ولم يكن بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار!»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أردت أن تعرف جهل النصراني وأنه لا حجة له، فقدّر المناظرة بينه وبين اليهودي، فإن النصراني لا يمكن أن يجيب عن شبهة اليهودي إلا بما يجيب به المسلم...»[(٢)].

وقال أيضًا: «محبة اليهود لموسى والنصارى للمسيح هي محبة باطلة، وذلك أن المحبة الصحيحة أن يحب العبد ذلك المحبوب على ما هو عليه في نفس الأمر، فمن اعتقد في أحد شيئًا ليس فيه وأحبه عليه فقد أحب ما لا حقيقة له؛ لأنه أحب ذلك الشخص بناءً على أنه موصوف بتلك الصفة

---

(١) بتصرف من: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام ابن القيم، ص٤٨، ٣٢٣، ٣٨٤.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية الحراني (٢/ ٥٥).

وهي باطلة، فقد أحب معدومًا لا موجودًا... فاليهودي إذا أحب موسى بناءً على أنه نهى عن اتباع المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولم يكن موسى كذلك، فإذا تبين له حقيقة موسى عليه السلام يوم القيامة علم أنه لم يكن يحب موسى على ما هو عليه، وإنما أحب موصوفًا بصفات لا وجود لها، وهو لم يحب إلا ما لا وجود له في الخارج، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«المرء مع من أحب»**[1]، فلا يكون اليهودي مع موسى المبشر بعيسى ومحمد ﷺ، فإنه لم يحب موسى هذا، والحب والإرادة ونحو ذلك يتبع العلم والاعتقاد، فهو فرع الشعور، فمن اعتقد باطلًا فأحبه، كان محبًا لذلك الباطل، وكانت محبته باطلة فلم تنفعه، وهكذا النصراني مع المسيح إذا أحبه معتقدًا أنه إله ـ وكان عبدًا ـ كان قد أحب ما لا حقيقة له، فإذا تبين له أن المسيح عبد رسول لم يكن قد أحبه، فلا يكون معه. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) رواه البخاري (٨/ ٣٩، ٤٠).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ١ـ٣](١).

وسبب ضلال المسيحيين عن الحق هو إعراضهم عن

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٤/ ٢٩٢. ٢٩٥) بتصرف. وقال في موضع آخر: «قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾[آل عمران: ١٥١] والنصارى فيهم شرك بيّن كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١] ففيهم شرك وغلو فعوقبوا بالرعب، واليهود فيهم كبر فعوقبوا بالذل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، والرافضة فيهم شبه من اليهود من وجه، وشبه من النصارى من وجه. ففيهم شرك وغلو وتصديق بالباطل كالنصارى، وفيهم جبن وكبر وحسد وتكذيب بالحق كاليهود.
المنهاج (٧/ ٢٠٩، ٢١٠) باختصار.

القرآن الكريم ففي القرآن شفاء الصدور من كل معضلة وهداية القلوب من كل مدلهمة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

وقال شيخ الإسلام: «فلو سوّغ للناظرين أن يعرضوا عن كتاب الله تعالى ويعارضوه بآرائهم ومعقولاتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به علم ولا هدى... فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلى الغاية، وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات، ثم لم يصلوا منها إلى معقول صريح يناقض الكتاب، بل إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف بين الأحزاب. فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات؟ فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه؛ لم يعارضه إلا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالأول: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ

عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩]، والثاني: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وأصحاب القرآن والإيمان في نور على نور ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٥][١].

ومن تدبّر القرآن انكشفت له الحقائق بحذافيرها ومن أراد الهدى فليبدأ من هنا، وبالله التوفيق.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١/ ١٦٩، ١٧٠).

الباب الرابع

الأسرار الكنسية والشعائر الكهنوتية

لقد ترتب على تلك العقائد الآنفة كالتأليه للمسيح والتثليث والخطيئة والتكفير والصلب والفداء والخلاص عقائد أخرى متفرعة عنها، وشعائر وطقوس متعلقة بها وكهنوت سرّي كأسرار الكنيسة السبعة(١).

---

(١) الأسرار السبعة ـ إجمالًا ـ هي:

١ – سر التعميد. (بالتغطيس في الماء أو بالرش، وهو إيذان بالدخول في الدين المسيحي).

٢ – سر التثبيت أي: تثبيت العماد (الميرون المقدس، ويعتقدون أنه الحنوط وزيت الزيتون المجموع بعد تغسيل جسد المسيح بعد موته المزعوم).

٣ – سر الاعتراف للقس أو الكاهن بالذنوب. ويلحق بذلك الكفارات التي يوجبها القس على بعض الذنوب.

٤ – سر مسحة المرضى (وهي تلاوات ورقى على المريض لشفائه من علله الجسدية بسبب علته الروحية وهي الخطيئة). وعند بعضهم أن سر القربان المقدس (العشاء الرباني) هو السر الرابع. =

والسر عند الكنيسة هو: «عمل مقدس به تنال نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة»[1]. ؟؟

ومن تلك الأسرار والطقوس والشعائر[2]:

= ٥- سر الزواج (حيث يسمح بزوجة واحدة فقط، أما الكهنة والقسس فيحرم عليهم لأنهم قد تزوجوا كنائسهم وأديرتهم ــ رمزيًا ــ لذلك فلا ينتقل عن كنيسة ــ أي زوجته الرمزية ــ إلى أخرى. أما البروتستانت فقد سمح لهم بالزواج الحقيقي والرمزي).

٦- سر الكهنوت (وهي مراتب الدين المسيحي وطبقات الأكليروس).

٧- سر الرهبانية (وهي لزوم التعبد والانقطاع عن الدنيا). ويرى بعضهم أن السر السابع هو سر المسح بالزيت قبل الوفاة، بعد أن يعترف أمام القسيس بذنوبه فيغفرها له ثم يمسحه بالزيت المقدس حتى تتطهر أعضاؤه من الخطيئة (بزعمهم).

هذا ويرى غوستاف لوبون ـ كغيره من النقاد العقليين ـ أن شعائر المسيحية ـ ومنها العشاء المقدس ـ بدعة منقولة عن الوثنية الميثراوية، كما في كتاب: حياة الحقائق، ص٦٥.

(١) النصرانية، د. محمود مزروعة، ص١٤٣، ١٤٤، دراسات في الأديان، د. الخلف، ص٣٤٣.

(٢) هناك الأسرار التي لا يعلم تأويلها إلا الراسخون في خرافات =

١- سر المعمودية (التعميد):

تزعم الكنيسة أن يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليهما السلام) قد عمد المسيح عليه السلام في نهر الأردن[(١)]، والعماد يكون بتغطيس المعتمد ثلاث دفعات في الماء باسم الأب والابن والروح القدس، أو برشه بالماء ــ على خلاف بين الكنائس في ذلك..

والعماد ـ في نظرهم ـ يغفر الخطيئة الجدّيّة ــ أي الموروثة

= الكهنوت، وهذه الأسرار ـ المخبأة ــ تحظر الكنيسة مناقشتها، أو مجرد التفكير النقدي لها، بل لابد من التسليم الأعمى بها جملة وتفصيلًا!

وعند التأمل لهذه المسألة نرى أن هذه الأسرار مجرد أوهام بديلة عن الحقائق، وحيث أن الأسرار تحيط بالأوهام والغموض يوحي بالعظمة! فيظل الناس خاضعين لها، مستسلمين لتأثيرها، لا يفيقون من سحرها، ولا يتمردون على كهنتها.

وهذه الأسرار لا يملك مفاتيحها إلا أصحاب القداسة العليا ــ كما يزعمون ـ لأنها في الحقيقة لا وجود لها على الإطلاق!

وانظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٣٣.

(١) فعلى هذا فالديانة يحيوية معمدانية لا مسيحية عيسوية!

عن جدهم آدم - كما يغفر الخطايا والذنوب الذاتية ـــ التي اقترفها المعتمد من قبل. ولا يقوم به إلا الكاهن. كما لا يدخل الإنسان في المسيحية إلا عن طريق التعميد، فهي صك دخول الديانة ــ المبدلة، ويمكن أن يُعمد الإنسان وهو طفل أو في أي وقت في حياته ولو كان على فراش الموت[1].

٢ـ سر القربان المقدس (العشاء الرباني):

جاء في إنجيل متى أن المسيح جلس بين تلاميذه في العشاء الأخير - أي ليلة القبض عليه ــ فأخذ خبزًا وباركه ــ أي دعا فيه بالبركة ـــ ثم أعطاه تلاميذه وقال: «خذوا كلوا هذا جسدي ثم أخذ الكأس[2] وشكر وأعطاهم وقال: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي» (متى ٢٦: ٢٦).

(١) كما يؤثر عن الإمبراطور قسطنطين أنه لم يُعمد إلا على فراش الموت قبل بضعة عشر يومًا من وفاته، بعد ما لوّث ديانة المسيح بتدخلاته العجة السافرة عن طريق الضغط على المجامع الكنسية بما يوافق وثنيته الرومانية.

(٢) وحاشاه عن أم الخبائث والكبائر.

لذا فهم يأتون بفطيرة من الخبز من نوع خاص وصنعة خاصة، ثم يأخذها الكاهن ويدعو بدعوات، ثم يوزعها على الحاضرين في الكنيسة، فيأكلونها وهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن هذه الدعوات الكهنوتية قد حوّلت الفطيرة إلى لحم وجسد المسيح حقيقة! وأن الخمر قد تحوّلت كذلك إلى دمه![١] وهم

(١) ومن أسلم قيادة عقله للمجهول فلا تسأل عن حيرته وتوهانه ولات حين الذي يرجون، كذلك فمن الخرافات الكنسية التي لا تزال عالقة بأذهان المسيحيين خرافة (تجلّي العذراء) فلا يمضي عام إلا وتحاول الكنيسة عمل بعض الحيل لإيهام العامة بذلك سواء عن طريق إطلاق أضواء ملونة أو بيضاء على أماكن معينة في وقت معين أو نحو تلك الحيل.
كما أن هناك عادات غريبة شائعة اليوم أصلها خرافات كنسية، ومن ذلك التشاؤم من الرقم (١٣) فأصله أن يهوذا الذي دل على المسيح هو التلميذ الثالث عشر فكان ذلك مصدر شؤم للكنيسة وأتباعها، حتى أنه عند ترقيم المنازل في المدن الغربية يرفض بعضهم وضع هذا الرقم على منزله ويضع مكانه (١٢ ب) كما أن هناك خرافات كنسية كثيرة عن الكون والعلم والحياة، والكنيسة هي من خرب أوروبا بالخرافات، وكما أن الإسلام حارب الإلحاد فكذلك قد حارب الخرافة، والكنيسة هي أم الخرافة. =

يـأكلون ذلـك ويـشربونه حتـى يتحـدوا بالمـسيح![1] لـذلك فبعضهم يصوم قبل العشاء الرباني حتى لا يختلط الإله المسيح بفضلات أمعائه! وبعضهم لا يتبرع بالدم لغير المسيحيين كي لا ينتقل الإله عن طريق الدم إلى الآخر!

قـال زكـي شـنودة: «وتعتقـد الكنيـسة أن سر القربـان المقدس يحتوي بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم نفس لاهوت المسيح، أي أن الخبز والخمر يستحيلان وينتقلان إلى جسد المسيح ودمه لا على وجه الرمز والإشارة، ولا بحسب حلول اللاهوت في مادتي الخبز والخمر، وإنما باعتبار أن الخبز والخمر[2] يصيران حقيقة وفعلًا، وبحسب جوهرهما جسد

= وانظر: قذائف الحق، الغزالي، ص٤٨ وما بعدها، العلمانية، د. الحوالي، ص١٠٥ ـ ١١٠.

(١) قـرر مجلس لاتـران الرابـع (١٢١٥) إيجـاب تكـرار الاعـتراف والعشاء الرباني كل عام، وجعلهما من الواجبات الخطيرة، إذا أهملها إنسان حرم من جميع خدمات الكنيسة ومن الدفن دفنة مسيحية (قصة الحضارة: ١٥/ ١٦).

(٢) وفي بعض الكنائس البروتستانتية يستبدلون الخمر بعصير العنب، =

الرب ودمه وذاته»[(١)].

وهذا أمر غريب وشنيع لا يستطيع عاقل أن يستسيغه، ولكن الكنيسة فرضت ذلك على رعاياها، ومنعتهم من مناقشته وإلا تعرضوا للطرد والحرمان[(٢)]! وتعد الكنيسة هذا

= لما ثبت ضرره الكبير على الصحة والمجتمع، كما أن بعض الكنائس تعتقد مجرد الرمزية في العشاء الرباني.

(١) تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص٢٦١، وانظر: دستور الكنيسة الإنجيلية، ص٥٣.

(٢) ويشترك اليهود مع النصارى في بعض هذه الخرافات فمن ذلك: أن أهم عيد لليهود هو عيد الفصح، وأول أيامه الخامس عشر من نيسان (إبريل) من كل عام، ويستمر سبعة أيام في فلسطين وثمانية لمن هم خارج فلسطين، وعيد الفصح ــ هو ما يسمى عند المسلمين عاشوراء حيث يصوم المسلمون هذا اليوم شكرًا لله تعالى على إنجاء نبيه وكليمه موسى عليه السلام وقومه من فرعون وقومه ــ علمًا أن حساب المسلمين وتعبداتهم بالسنة والشهور الهلالية القمرية لا الشمسية ـ فمن طقوس اليهود في هذا العيد:
١ـ الامتناع عن العمل في أول أيام العيد وآخره.
٢ـ ممارسة طقوس خاصة مثل قراءة قصة الخروج من العهد القديم ـ أي خروجهم من مصر ـ ووضع خمسة أقداح نبيذ (خمر)=

السر أهم أسرارها بعد التعميد. ولا تتسامح فيه بأي حال، وكم قتلت على الخازوق أو المحرقة من أنفس بريئة بتهمة رفض عبادة القربان المقدس حتى ولو كان المتهم امرأة ضعيفة كبيرة في السن، فعلى سبيل المثال ففي عام ١٥٣٩ أرسل أسقف كراكو في بولندا إلى المحرقة امرأة في الثمانين من

= على المائدة، واستخدام أربعة منها فقط مع تلاوة الأدعية والصلوات دون استخدام الخامس على أساس أنه للنبي إيليا (إلياس أو إدريس عليه السلام) ـ وحاشاه ـ حيث ينتظرون نزوله من السماء قبل قدوم مسيحهم المنتظر ـ وهو الأعور الدجال..

٣. أكل الفطير طيلة أيام العيد، لهذا يسمى عيط الفطير، فطقوسه توجب عليهم أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطري ـ لا يدخله الملح ولا الخميرة ـ تذكرهم بأن فرارهم من فرعون كان سريعًا بدون ترفه وانتظار.

هذا وقد ارتبطت مسألة تناول خبز الفطير هذا بمزجه بدماء بشرية في هذا العيد! ومن أشهر الحوادث في ذلك جريمة حدثت في ٦/٢/١٨٤٠م وفيها قتل اليهود أحد الرهبان الكاثوليك من الرعايا الإيطاليين بدمشق واسمه توما وخادمه إبراهيم عمار وأخرج الدم منهما لاستخدامه في فطير عيد الفصح!

عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، محمد آل عمر، ص٢٧.

عمرها بتهمة أنها رفضت عبادة القربان المقدس[1].

وفي إنجيل (لوقا ٢٢: ٢٠): «اعملوا هذا لذكري» وهي عبارة مقحمة ومدسوسة على الإنجيل، وقد تم حذفها من نسخة الرهبانية اليسوعية، وكذلك من النسخة القياسية، واعتبرت نصًّا دخيلًا.

وأول من أصّل هذه العقيدة الغريبة باسخاسيوس في منتصف القرن التاسع في كتابه (جسد الرب ودمه) وقد أقر هذه الخرافة المجمع اللاتراني عام (١٢١٥م).

وغني عن التنويه أن هذه الفكرة مقتبسة من وثنية الميثراوية التي تعتقد أن الإله ميثرا يمنح البركة للخبز والخمر في العشاء. قال فيلسيان شالي: «هي صورة عن المشاركة ذات الأصل الطوطمي، مشاركة الناس في لحم الكائن المقدس ودمه، وكانت تتم بالخبز في أيلوزيس، وبالخمر لدى المؤمنين

---

(١) قصة الحضارة (٢٥/ ٢٤٠) ولعل السبب تأثرها بدعوة الموحدين وحججهم القوية في وصم ذلك بالوثنية والشرك، إن لم تكن هي منهم أصلًا وهو الأشبه.

بديونيزوس، وبالخبز والخمر والماء في الميثرائية»[١].

وكثير من المسيحيين يشككون في هذه العقيدة الغريبة، وبعضهم قد أعلن رفضه لها جملة وتفصيلًا، وبعضهم اكتفى برمزيتها، وآخرون سخروا منها من أمثال هذي فيلمر الذي قال: «إذا كان الرب موجودًا حقًّا في القربان المقدس فإني أكون قد أكلت في حياتي عشرين ربًّا!» كما حذّر روبرت تستورد القسيس لما رفع القربان المقدس من أن يترك الرب يسقط، وبالطبع فقد أحرقوا حتى الموت بتهمة الهرطقة وقالت: آن إسكيو تشبثت عند محاكمتها: «إن ما تسمونه ربكم قطعة من الخبز، والدليل على ذلك أنكم لو تركتموها في صندوق لمدة ثلاثة أيام لتعفنت»[٢] وقد سيروها لحتفها بطبيعة الحال[٣].

---

(١) موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ص٢٦٤.

(٢) وقد طبق قس مصري ما ذكرته آن فاكتشف العفونة فيما ظنه ربًّا فكان هذا من أسباب تركه لتلك الديانة المضطربة.

(٣) قصة الحضارة (١٤٩/٢٥- ١٥٠) وقال غير واحد سائلًا القس =

وتحتفل الكنيسة بالعشاء الرباني (القربان المقدس) في شهر إبريل من كل سنة، ففي مساء الخميس يأكلون هذا العشاء (ليلة العشاء الأخير) ثم يحتفلون في اليوم الذي يليه ويسمونه (الجمعة الحزينة) لاعتقادهم ـــ الباطل ـــ بوفاة المسيح ذلك اليوم على الصليب، ثم في اليوم التالي ويسمونه (سبت النور) ثم في اليوم الذي يليه الأحد فيحتفلون فيه بعيد القيامة (أي قيامة المسيح المزعومة من الأموات).

٣. سر تقديس الصليب:

ويرون أن حملهم له يشعرهم باقتفاء آثار المسيح(١) ففي إنجيل لوقا: «إذا أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني» فحمل الصليب علامة على الرضى بالفداء، وأول من جعل الصليب هو قسطنطين، وإذ لم يعرف عن أحد قبله تقديسه، فقد جعل الصليب شعارًا لجيشه في

= عما يسقط من فتات الخبز وتأكله الفئران: هل هي تأكل الخبز أم الإله؟!» والحمد لله على نعمة العقل والإيمان والإسلام.

(١) وما علموا أن الاقتفاء الحقيقي هو اقتفاءه في وصاياه ودعوته وتوحيده وإيمانه.

حربه مع مكنتيوس، ثم زعمت والدته هيلانة أنها وجدت الصليب الأصلي فعظّمته، ومن ذلك الحين عظّموا جنس الصليب، مع أن حق الصليب ــ وفق رواياتهم ــ الإزراء والتحقير لا التبجيل والتعظيم، ثم لماذا الصليب بالذات؟ فالحمار ــ مثلًا ــ قد دخل المسيح أورشليم وهو راكب عليه وهو حي أفلا يكون أولى من الجماد؟ فإن كان المقصود سيلان الدم عليه فكذلك إكليل الشوك[1] أفلا عبدوا الشوك أو الخل أو المسامير أو الرمح ــ الذي طعنه به الجندي ــ أو حتى اليهود وكهنتهم! وهكذا؟! وإلا فهو تحكم بلا موجب أو دليل، والأظهر أنهم اقتبسوه من وثنية المصريين القدماء فقد كان عندهم صليب مقدس جعلوه رمزًا للحياة كما في

(١) إكليل شوك من باب الهزء والسخرية فهو بديل عن تاج الذهب للملوك، ويروون أن اليهود كانوا يضحكون ويسجدون له ويقولون: أنت ملك اليهود! سخرية واستهزاء «والجند يستهزئون به وهم يأتون ويقدمون له خلًّا قائلين إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية هذا هو ملك اليهود» (لوقا ٢٣: ٣٧ـ٣٩).

جدران المعابد الفرعونية والمقابر المصرية القديمة[1].

٤.سر الميرون المقدس (التثبيت أو سر المسحة):

وتختلف الكنائس حول هذا الطقس، وهم يعتقدون أن المسيح لما مات وقبر جمع تلاميذه الحنوط الذي كان على جسده مع الحنوط الذي أحضرته النسوة لدهنه، ثم أذابوا هذا الحنوط في زيت الزيتون ثم قدسوه في (علية صهيون) ثم جعلوا هذا الزيت المقدس دهنًا يدهنون به من يعمدونه بالماء، وإذا أوشك على النفاد أضافوا له زيتًا جديدًا فتحل به البركة ـ المفتراة ـ وهكذا... ويسمونه الميرون.

٥ـ سر الغفران الكنسي (الاعتراف للكهنة والقسس وصكوك الغفران وضده الحرمان الكنسي).

فيعتقدون بحق الكنيسة في مغفرة الذنوب وحصر ذلك

---

(١) وهناك مَن يرى أن الكنيسة الكاثوليكية سابقة للمسيح بثلاثة قرون، وأنها كانت تسمى الكنيسة الرومانية العامة، وأنها هي من عذبت واضطهدت أتباع المسيح الأوائل، ثم آل بها الأمر إلى أن ادعت تنصّرها كما سبق بيانه في مراحل المسيحية.

عليها، ولا مجال للخروج عن ذلك بتوبة أو نحوها، فلا تغفر الخطايا إلا بالاعتراف بالذنوب مفصلة أمام القس أو الكاهن، ثم بعدها بمسحة هذا القس ــ المحتاج أصلًا للمغفرة ـ فتغفر ذنوبه بذلك!

وفي عام (١٢١٥م) قرر المجمع الثاني عشر أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران المطلق، فاهتبل ذئاب الكنيسة ذلك فكتبوا الكثير من الصكوك في غفران الذنوب الماضية واللاحقة، وضمان دخول الملكوت (الجنة) لمالك ذلك الصك ولو فعل بعده ما فعل[١]، فتضخمت ثرواتهم وبلغت أرقامًا لا تصدق! وهي بلا شك وصمة عار في جبين المسيحية المبدلة، وتألّيًا على الله تعالى وسوء أدب معه[٢].

وهذه فقرات من أحد صكوك الغفران التي باعتها

---

(١) وفي أحد الصكوك: تمنح المغفرة لحامله ولو كان ذنبه فعل الفاحشة بالعذراء!

(٢) وقد كانت هذه الصكوك أحد أسباب ثورة المحتجين الإصلاحيين البروتستانت على الكنيسة الكاثوليكية.

الكنيسة: «ربنا يسوع المسيح[١] يرحمك يا فلان.. وأنا بسلطاني الرسولي المُعطى لي أُحِلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضًا من جميع الأفراط والخطايا والآثام مهما كانت فظيعة وعظيمة... حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب.. وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتيك ساعتك الأخيرة...»[٢] ولا تعليق على هذه الخرافة واللعب!

٦ـ تقديس يوم الأحد:

من المعلوم أن المسيح عليه السلام من نسل داود فهو من بني إسرائيل، وبنو إسرائيل يعظمون السبت ويقدسونه ويحرمون العمل والتكسب فيه، ورُفع المسيح وهو على ذلك باتفاق المسيحيين قاطبة، إلا أنهم بعد زمان طويل حين بدلوا رسالة

---

(١) لاحظ التوجه في الدعاء ــ وحتى الصلاة ــ تكون للمسيح من دون الله ـ تعالى الله عما يشركون ..

(٢) عن: محاضرات في النصرانية، ص١٥٨.

المسيح ودينه إلى دين الرومان وشهوات الأباطرة والفلاسفة والوثنيين، بدّلوا ـ ضمن ما بدلوا ـ تعظيم هذا اليوم ونقلوه إلى الأحد مخالفة ومشاقة لليهود ومنابذة لهم[1].

---

(١) وفي الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «**نحن الآخرون** ـ أي زمنًا ـ **السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم** ـ أي الجمعة ـ **فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد**» أي أن الله هدى أمة محمد ﷺ لأعظم أيام الأسبوع وفيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة الإجابة إلى غير ذلك، والمراد من قوله «**هذا يومهم الذي فرض عليهم**» إما أن يكون قد فرض عليهم يوم في الأسبوع بدون تعيين الجمعة فلم يهتدوا إلى الجمعة، أو يكون قد عيّن لهم صراحة فاختلفوا هل يلزم تعيينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر فاجتهدوا في ذلك فلم يهتدوا للحق، ويشهد له ما رواه الطبراني بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ قال: أرادوا الجمعة فأخطئوا وأخذوا السبت مكانه فألزموا به بعد ذلك، وعند ابن أبي حاتم عن السدي قال: «إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى إن الله لم يخلق في يوم السبت شيئًا فاجعله لنا، فجعل عليهم» والأظهر الأول فما كان لموسى =

٧ـ الصلاة:

وهي سبع صلوات في اليوم والليلة(١)، وليس لها كيفية محدودة، إنما هي دعاء يبتهلون به للمسيح عليه السلام ويخلصون فيها بالتوجّه إليه دون الله تعالى!

= عليه السلام أن يبدل الشريعة لقول أحد كائنًا من كان، أما قول اليهود له فليس بغريب فإنهم لما قيل لهم: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، أي حط عنا خطايانا، فدخلوا على إستاهم وقالوا: حبة في شعرة، بل قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وكثير نعمه وآلائه على نعمة الإسلام والإيمان، ونسأله سبحانه بأسمائه وصفاته أن يثبتنا عليه حتى نلقاه به، آمين.

(١) وهي: ١ـ صلاة باكر. ٢ـ صلاة الساعة الثالثة.
٣- صلاة الساعة السادسة. ٤ـ صلاة الساعة التاسعة.
٥ـ صلاة الساعة الحادية عشر. ٦ـ صلاة الساعة الثانية عشر.
٧ـ صلاة منتصف الليل.
وهذه الصلوات غالبًا لا يفعلها سوى المتعبدين في الكنائس والأديرة، أما المتدينين من غير المنقطعين للرهبنة فيصلّون غالبًا صلاتين وهما صلاة باكر وصلاة آخر اليوم.

وأهم الصلوات عندهم صلاة يوم الأحد، حيث يقرأ القسيس شيئًا من فقرات الكتاب المقدس والبقية يُؤمِّنون وقوفًا، وليس في صلاتهم سجود مع أن المسيح كان يسجد في صلاته كاليهود (متى ٢٦: ٣٩).

ودعاء المصلي المسيحي هو: «أبانا الذي في السماوات[١] ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم. واغفر خطايانا لأننا نحن أيضًا نغفر لكل من يذنب إلينا[٢]، ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير[٣]»[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف صلاتهم: «يقوم أعبدهم وأزهدهم إليها والبول على ساقه وأفخاذه[٥]، فيستقبل

(١) ويقصدون به المسيح تحديدًا.

(٢) وأغلبهم كاذب!

(٣) يشيرون إلى التجربة ــ المزعومة ــ التي وضعه فيها الله وجعل الشيطان (الشرير) يختبره فيها!

(٤) تاريخ الأقباط، ص٢٥٦.

(٥) لأنهم لا يشترطون الطهارة للصلاة، أما في الإسلام فلابد من =

الـشرق، ثـم يـصلّب عـلى وجهـه، ويعبـد الإله المـصلوب، ويـستفتح الـصلاة بقولـه: يـا أبانـا... ثـم يحـدّث مـن هـو إلى جانبه[١] وربما سأله عن سعر الخمر والخنزير، وربما أحدث وهـو في صلاته، ثـم يدعو تلك الصورة التي هي صنعة يد الإنـسان، ويتعـوض بعبـادة الـصور والـصلبان عـلى عبـادة الـرحيم الـرحمن[٢]، وعـن قـول «الله أكـبر»[٣] بالتصليب على

= الطهارة من الحدثين، ولابد من طهارة البدن والثوب والبقعة، وفي الحديث عنه ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان»** رواه مسلم.

(١) أما في الإسلام فتبطل الصلاة بكلام ينافيها لأنها مناجاة لله تعالى وتلاوة لكلامه.

(٢) ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

(٣) ومن قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم الطائي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فيما يرويه عنه حيث كان يدعوه إلى الإسلام ـــ لما كان معتنقًا للمسيحية المبدلة ـ: **«ما يفرّك؟** ـ أي ما الذي يدعوك للفرار من الله ودينه الإسلامي ـ أيفـرّك أن يقـال: لا إله إلا الله؟ فهـل تعلـم مـن إله سوى الله؟» فقلت: لا، فتكلم ساعة ثم قال: **«أيفرّك أن يقال الله**=

وجهه، وعن قراءة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ـ ٤] باللهم اعطنا خبزنا الملائم لنا، وعن السجود للواحد القهار بالسجود للصور المدهونة في الحائط...»[١].

أما قبلة الصلاة عندهم فهي الشرق مضاهاة للإغريق والفراعنة وعبّاد الشمس خلافًا لملل الأنبياء[٢].

٨ـ الصيام:

وهو عبارة عن انقطاع الإنسان وقتًا معينًا من النهار عن

= **أكبر؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟»** فقلت: لا، قال: **«فإن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»** فقلت: فإني حنيف مسلم. فرأيت وجهه ينبسط فرحًا». سيرة ابن هشام، ورواه أحمد والترمذي.

(١) هداية الحيارى، ص٥٣،، ٢٦٢.

(٢) قال شيخ الإسلام: «إن الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس، وهي البيت العتيق، وقبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء، ولم يأمر الله قط أحدًا أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى...» مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٩).

الطعام، ثم اقتصاره بعد ذلك على أنواع خالية من الدسم الحيواني.

والصوم ـ عندهم ـ عبادة اختيارية وليست بلازمة، وتختلف الكنائس في تحديد أيام الصيام، وبعضهم يصوم الأربعاء والجمعة، أما صوم الميلاد فهو (٤٣) يومًا تنتهي بعيد الميلاد.

وختامًا: فبعد هذا التطياف بين الأسرار والطقوس فإن الله تعالى قد نبه على تهافت الديانتين اليهودية والمسيحية المبدلة بقوله الكريم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [المائدة: ٦٨].

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

صفحة بيضاء

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٣
الباب الأول: تأليه المسيح عليه السلام	٩
توطئة	١١
الفصل الأول: نقض شبهة التأليه للمسيح عليه السلام	٢١
١.نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية والربوبية	٢١
٢.نصوص تنسب المسيح إلى البنوة................................	٢٥
٣.نصوص تنسب المسيح إلى الحلول والاتحاد........................	٣٠
٤.نصوص تنسب صفات الله تعالى للمسيح	٤٠
٥.نصوص تنسب أفعال الله إلى المسيح	٤٧
٦.الاستدلال بالمعجزات..	٦١
الفصل الثاني: حقيقة المسيح ابن مريم عليه السلام	٧٧
١.نصوص تثبت عجزه وضعفه..	٨٦
٢.نصوص تثبت بشريته	٨٧
٣.معاصروه وتلاميذه لم يقولوا بألوهيته...........................	٩٠
٤.نصوص تشهد بنبوته ورسالته	٩٣

الموضـــــــــوع	الصفحة

الباب الثاني: التثليث ٩٧

الفصل الأول: تعريفه ومحاولة فهمه ٩٩

الفصل الثاني: أصول التثليث وثنية ١١٩

الفصل الثالث: مناقشة عقيدة التثليث ١٢٧

الباب الثالث: الخلاص ١٣١

الفصل الأول: الخطيئة والتكفير بالفداء ١٣٣

المبحث الأول: توضيح المراد بها، وكيفية نشأتها ١٣٣

المبحث الثاني: تحليل ومناقشة ونقد عقيدة الخطيئة والتكفير والفداء ١٤٧

الفصل الثاني: عقيدة الصلب والفداء ١٧١

المبحث الأول: توطئة ١٧١

المبحث الثاني: نقض عقيدة الصلب والفداء وبراهين زيفها عقلًا ونقلًا ١٧٩

أولًا: لا تليق بمقام الألوهية والربوبية ١٧٩

ثانيًا: أصولها الوثنية ١٧٩

ثالثًا: نقد الروايات الإنجيلية لحادثة الصلب ١٨٦

١- تناقضات روايات الصلب بين الأناجيل ١٩٠

٢- تناقضات روايات قصة القيامة ١٩٣

الموضـــــــــــوع	الصفحة

٣- تفرد أحد الأناجيل ببعض الأجزاء من القصة ١٩٧
٤- النقد الضمني للروايات ١٩٩
٥- وجود كثير من فرق المسيحيين المنكرة لصلب المسيح ٢٠٥
٦- نبوءات التوراة تفيد نجاة المسيح عليه السلام من الصلب ٢١٣
٧- دلالة الأناجيل والرسائل على عدم صلب المسيح ٢٢٠
٨- كل من احتك به ـ حسب القصة ـ يشك في شخصيته ٢٢٩
٩- القدرات الهائلة للمسيح عليه السلام ٢٣٠
الباب الرابع: الأسرار الكنسية والشعائر الكهنوتية ٢٣٩
١- سر المعمودية (التعميد) ٢٤٧
٢ـ سر القربان المقدس (العشاء الرباني)............................ ٢٤٨
٣ـ سر تقديس الصليب ٢٥٥
٤ـ سر الميرون المقدس (التثبيت أو سر المسحة).................. ٢٥٧
٥ـ سر الغفران الكنسي ٢٥٧
٦ـ تقديس يوم الأحد ٢٥٩
٧ـ الصلاة ٢٦١
٨ـ الصيام ٢٦٤
الخاتمة ٢٦٥

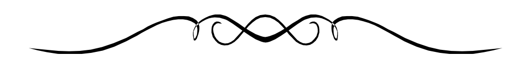
صفحة بيضاء

سلسلة

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) محمد رسول الله ﷺ.
٢) هل انتشر الإسلام بحد السيف؟
٣) كشف شبه أهل الكتاب عن الإسلام (١٣ شبهة).
٤) النصرانية من التوحيد إلى الوثنية.
٥) أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام.
٦) يا سائلاً عن بني إسرائيل!
٧) المسجد الحرام والحج في صحف أهل الكتاب.
٨) سبع بشارات توراتية بنبي الهدى الخاتم عليه الصلاة والسلام.
٩) أشهر بشارات العهد الجديد بنبيّنا محمد ﷺ.
١٠) نظرة فاحصة في الكتاب المقدّس «البيبل».
١١) العقائد النصرانية في الميزان.
١٢) ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح صلى الله عليهما وسلم.



الصف والتنسيق والإخراج الفني
أ. خالد محمد جاب الله ـ مكة المكرمة ـ جوال: ٠٥٠٢٥٤٣٩١٧